خُطَبٌ

في الرسالةِ الأولى والثانية

إلى أهل تسالونيكي

Addresses on Thessalonians

by

Harry Ironside

خُطبٌ في الرسالةِ الأولى والثانية إلى أهل تسالونيكي

هـ. أ. أيرونسايد

مؤلف "محاضرات على سفر أعمال الرسل"،

"محاضرات على رومية"،

"محاضرات على الرؤيا"،

وكتاب "في السماويات"،

وغيرها.

www.muhammadanism.org
July 16, 2007

نشر

LOIZEAUX BROTHERS

نيبتون، نيوجرسي

الطبعة الأولى، كانون الثاني (يناير) ١٩٤٧

الطبعة الثالثة عشر، أيلول (سبتمبر) ١٩٨١

حقوق الطبع والنشر ١٩٤٧،

LOIZEAUX BROTHERS

طُبِعَتْ في الولايات المتحدة الأمريكية

نقلها إلى العربية فريق ترجمة وتعريب، ٢٠٠٧

المحتويات

المجلد الأول	
الخطبة	**الصفحة**
كلمة استهلالية	٥
١ـ الخدمة والانتظار	٦
٢ـ الخدمة على مثال المسيح	١١
٣ـ الثبات في الإيمان	١٦
٤ـ اختطاف الكنيسة	٢٠
٥ـ يوم الرب	٢٦
٦ـ تمام التقديس لدى عودة الرب	٣١
المجلد الثاني	
١ـ الثواب والعقاب عند عودة الرب	٣٦
٢ـ بزوغ المسيح الدجال	٤١
٣ـ عَزَاءً أَبَدِيًا	٤٨
٤ـ المسيحية في التطبيق	٥١

كلمة استهلالية

هذه الخُطَبُ على رسالتي تسالونيكي، هي عبارةٌ عن خُطَبٍ تفسيريةٍ على هاتين الرسالتين، قُدِّمتْ على فترة تمتدّ لعشرة أسابيع في أيام الرب (أيام الأحد) في كنيسة مودي ميموريال (Moody Memorial Church) في شيكاغو. لقد تم تدوينها بشكل مختزل، ولكن أُوجِزت نوعاً ما بحذف مقدار كبير من مادتها التي لم تُعتبر مناسبةً لعامة القراء، وأيضاً بسبب التكرار الذي بالكاد يمكن تحاشيه في مخاطبة جمهرة متنوعة ولكن سيكون بلا طائل إن كان مسهَباً في كتاب. وحتى كما هو الحال عليه، هناك أشياء تكررت بسبب التطرق إلى حقائق معينة أو الإشارة إليها مراراً وتكراراً في كلتا الرسالتين. نرجو أن لا تُفسِدَ هذه تأثيرَ أو فعالية محاولة شرح الدروس العظيمة التي استخدم الله القديسَ بولسَ ليقدّمها لهذه الكنيسة بالذات.

هـ. أ. أيرونسايد

شيكاغو

شباط، ١٩٤٦

الرسالة الأولى إلى أهل تسالونيكي

الخطبة الأولى

الخدمة والانتظار

"بُولُسُ وَسِلْوَانُسُ وَتِيمُوثَاوُسُ، إِلَى كَنِيسَةِ التَّسَالُونِيكِيِّينَ، فِي اللهِ الآبِ وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. نِعْمَةٌ لَكُمْ وَسَلاَمٌ مِنَ اللهِ أَبِينَا وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. نَشْكُرُ اللهَ كُلَّ حِينٍ مِنْ جِهَةِ جَمِيعِكُمْ، ذَاكِرِينَ إِيَّاكُمْ فِي صَلَوَاتِنَا، مُتَذَكِّرِينَ بِلاَ انْقِطَاعٍ عَمَلَ إِيمَانِكُمْ، وَتَعَبَ مَحَبَّتِكُمْ، وَصَبْرَ رَجَائِكُمْ، رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحَ، أَمَامَ اللهِ وَأَبِينَا. عَالِمِينَ أَيُّهَا الإِخْوَةُ الْمَحْبُوبُونَ مِنَ اللهِ اخْتِيَارَكُمْ، أَنَّ إِنْجِيلَنَا لَمْ يَصِرْ لَكُمْ بِالْكَلاَمِ فَقَطْ، بَلْ بِالْقُوَّةِ أَيْضاً، وَبِالرُّوحِ الْقُدُسِ، وَبِيَقِينٍ شَدِيدٍ، كَمَا تَعْرِفُونَ أَيَّ رِجَالٍ كُنَّا بَيْنَكُمْ مِنْ أَجْلِكُمْ. وَأَنْتُمْ صِرْتُمْ مُتَمَثِّلِينَ بِنَا وَبِالرَّبِّ، إِذْ قَبِلْتُمُ الْكَلِمَةَ فِي ضِيقٍ كَثِيرٍ، بِفَرَحِ الرُّوحِ الْقُدُسِ، حَتَّى صِرْتُمْ قُدْوَةً لِجَمِيعِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ فِي مَكِدُونِيَّةَ وَفِي أَخَائِيَةَ. لأَنَّهُ مِنْ قِبَلِكُمْ قَدْ أُذِيعَتْ كَلِمَةُ الرَّبِّ، لَيْسَ فِي مَكِدُونِيَّةَ وَأَخَائِيَةَ فَقَطْ، بَلْ فِي كُلِّ مَكَانٍ أَيْضاً قَدْ ذَاعَ إِيمَانُكُمْ بِاللهِ، حَتَّى لَيْسَ لَنَا حَاجَةٌ أَنْ نَتَكَلَّمَ شَيْئاً. لأَنَّهُمْ هُمْ يُخْبِرُونَ عَنَّا أَيُّ دُخُولٍ كَانَ لَنَا إِلَيْكُمْ، وَكَيْفَ رَجَعْتُمْ إِلَى اللهِ مِنَ الأَوْثَانِ لِتَعْبُدُوا اللهَ الْحَيَّ الْحَقِيقِيَّ، وَتَنْتَظِرُوا ابْنَهُ مِنَ السَّمَاءِ، الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ، يَسُوعَ، الَّذِي يُنْقِذُنَا مِنَ الْغَضَبِ الآتِي" (١ تسالونيكي ١:١– ١٠).

إن الرسالتين إلى أهل تسالونيكي هما أول ما كتبَ بولس الرسول، بإرشاد الروح القدس، الذي حفظه الرب بنعمته لتنوير وتهذيب الكنيسة. من الواضح أنهما كانتا قد كُتبتا من كورنثوس بعد أن غادر بولس بيرية بسبب الاضطهاد. كان تيموثاوس وسيلا قد تخلّفا، بناءً على طلبه، وذهبا إلى تسالونيكي، ثم جاءا إلى بولس ليخبراه بحالة الكنيسة الفتية. بحسب سرد لوقا للمُجريات في سفر أعمال الرسل، كان بولس قد كرز بالإنجيل على مدى ثلاثة أيامِ سبتٍ متعاقبة في المجمع اليهودي في تسالونيكي. ولكننا لا نعرف كم بقي في المدينة إذ لا يخبرنا الكتاب بذلك، ولكن لا يمكن أن يكون لفترة طويلة. إن ثمار زيارته القصيرة كانت مميزة ولافتة. فقد أتت مجموعةٌ إلى المعرفة الخلاصية (التي تخلص) بالرب يسوع المسيح. بعض هؤلاء كان من اليهود، ولكن الغالبية كانوا من الأمميين، وهذا أمر واضح عند هؤلاء الذين حدث أن أُتيَ بهم إلى رؤية حماقة الوثنية، واقتيدوا لأن يضعوا إيمانهم في الإله الحي كما تجلى في ابنه.

لقد كان بولس مهتماً جداً بخصوص هؤلاء المهتدين الجدد الحديثي الإيمان. لقد بدوا كغنمٍ لا راعي لهم، رغم أنه كان يدرك، بالطبع، أن الراعي العظيم كان يسهر عليهم أبداً. يخبرنا بولس أنه لم يشعر بالراحة في روحه بينما كان ينتظر مجيء تيموثاوس وسيلا، لأنه خشي أن ينتهز الشيطان الفرصة للنيل من أولئك الذين جاؤوا مؤخراً جداً إلى المسيح. وكان الخبر الذي جاء إليه مشجعاً أكثر وجعله يكتب هذه الرسالة.

إنه لأمرٌ لافتٌ ومثيرٌ أن المجيء الثاني لربنا يسوع المسيح يُشار إليه نوعاً ما في كل أصحاحٍ من هذه الرسالة. ورغم أن الرسالة كانت موجهة إلى الأطفال في المسيح (الحديثي الإيمان)، إلا أن الرسول (بولس) كان يدرك أهمية إعطائهم تعليماً واضحاً فيما يخص هذا الموضوع الهام جداً. غالباً ما يخبروننا اليوم أن المجيء الثاني هو عقيدة لا تشغل اهتمام المسيحيين عموماً. وإن خداماً كثيرين لا يكرزون أبداً بهذا الموضوع على الإطلاق؛ وكثيرون ليس لديهم قناعات واضحة بخصوصه. في صفوف معاهد اللاهوت، تصبح هذه العقيدة مجرد موضوع للنقاش والدراسة الجامعية الأكاديمية. أما بالنسبة لبولس فقد كانت حقيقة هامة وعملية جداً وإلى أقصى الحدود، حقيقة كانت في حاجة إلى تأكيد وتركيز لأنها تمس قلوب وحياة شعب الله المحبوب.

يخبرنا الأصحاح الأول كيف تم اقتبال الإنجيل في تسالونيكي. ويختتم برسم صورة عن مجموعة من المؤمنين السعداء الذين يخدمون الله بجدية في حين أنهم ينتظرون مترقبين عودة يسوع المسيح.

لدينا التحية الرسولية في أول آية من الرسالة: "بُولُسُ وَسِلْوَانُسُ وَتِيمُوثَاوُسُ، إِلَى كَنِيسَةِ التَّسَالُونِيكِيِّينَ، فِي اللهِ الآبِ وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. نِعْمَةٌ لَكُمْ وَسَلاَمٌ مِنَ اللهِ أَبِينَا وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ". لاحظ أن شركاء (زملاء) بولس في العمل (الرسولي) مرتبطين به في هذه التحية التي يرسلها إلى أولئك المهتدين الجدد. إن العبارة "الكَنِيسَةِ .... التي فِي اللهِ الآبِ وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ" مميزة في الرسالتين إلى أهل تسالونيكي. إنه يشير، بالطبع، إلى نفس الكنيسة التي يُقال عنها في مكان آخر أنها "جسد المسيح". ولكن التأكيد هنا هو على العلاقة الجديدة التي دخل فيها هؤلاء المسيحيون الجدد. لقد صاروا الآن على علاقة مع الله الآب بنعمة غير متناهية، فهم أولاده. وكانوا يعترفون بأن الفضل في كل ذلك للرب يسوع المسيح الذي بذل نفسه عنهم.

وهذه ليست النعمة التي تخلّص من الدينونة، بل إن بولس يتحدث عن النعمة التي تساندنا يوماً فيوماً. وهي ليست أيضاً السلام مع الله الذي كان يتوقعه ويترقبه. لقد سُويت تلك المسألة. إنه إنما يشير إلى سلام الله الذي هو الحصة الباقية الثابتة لكل الذين يؤمنون بالآب المحب ويسعون لأن يسلكوا في الطاعة للرب يسوع المسيح.

الآيات ٢– ٤ تمهيدية. " نَشْكُرُ اللهَ كُلَّ حِينٍ مِنْ جِهَةِ جَمِيعِكُمْ، ذَاكِرِينَ إِيَّاكُمْ فِي صَلَوَاتِنَا، مُتَذَكِّرِينَ بِلاَ انْقِطَاعٍ عَمَلَ إِيمَانِكُمْ، وَتَعَبَ مَحَبَّتِكُمْ، وَصَبْرَ رَجَائِكُمْ، رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحَ، أَمَامَ اللهِ وَأَبِينَا. عَالِمِينَ أَيُّهَا الإِخْوَةُ الْمَحْبُوبُونَ مِنَ اللهِ اخْتِيَارَكُمْ".

من اللافت في حديث الرسول إكثاره من القول بذكره لشعب الله في الصلاة. لقد كان رجلاً ذا نشاط مكثف: يكرز، ويزور البيوت بيتاً بيتاً، وغالباً ما يعمل في صنع الخيام لأجل قوته اليومي، ومع ذلك فقد كان يجد الوقت ليتشفع لدى الله من أجل كل الكنائس التي استخدمه الرب ليؤسسها، كما وتذكر أولئك الذين علم عنهم في صلواته، رغم أنهم لم يروا وجهه، كما كان الحال مع أهل كولوسي. وفي الآية

الثالثة يربط معاً الفضائل الثلاث التي كان ليكتب عنها لاحقاً في رسالة إلى أهـــل كورنثـــوس: الإيمـــان، والرجاء، والمحبة. هنا الترتيب مختلف، وهو لا يتحدث ببساطة عن هذه الفضائل الثلاث، بل عن الحقـــائق الروحية المتعلقة بها: عمل الإيمان، وتعب المحبة، وصبر الرجاء. وفي مكان ما نقرأ أن الإيمان يعمل بالمحبـــة. ويؤكد يعقوب على أن الإيمان بدون أعمال ميت. هؤلاء المهتدون الجدد كانوا يُظهرون إيمانهم بأعمالهم.

حتى تكون المحبة حقيقية يجب أن تتميز بنكران الذات ولذلك نقرأ هنا عـــن تعـــب المحبـــة. أن نتحدث عن محبة إخوتنا، ومحبة شعب إسرائيل، ومحبة النفوس الضالة عموماً هو أمر، ولكن محبتنا لا تكون حقيقية ما لم نكن على استعداد لأن نتعب بجد لأجل البركة والنعمة لأولئك الذين نقر بأن لدينا اهتمامـــاً عميقاً بهم.

إن رجاء المؤمن هو في مجيء ربنا يسوع المسيح. ولكن الرسول يتحدث هنا عن صـــبر الرجـــاء، فغالباً ما نتوق إلى ذلك اليوم الذي تنتهي فيه المحنة والضيقة، والذي فيه سيأخذنا المســـيح لنكـــون معـــه. ولكننا لن نكون نافذي الصبر ونحن نترقب تحقيق ذلك الحدث السعيد، فهو نفسه رجل الصـــبر، المتربـــع على عرش الله. "هُوَذَا الْفَلاَّحُ يَنْتَظِرُ ثَمَرَ الأَرْضِ الثَّمِينَ مُتَأَنِّياً عَلَيْهِ حَتَّى يَنَالَ الْمَطَرَ الْمُبَكِّـــرَ وَالْمُتَـــأَخِّرَ". خلال كل القرون منذ صعوده إلى السماء، وفي حين أننا نحسب الزمن هنا على الأرض، ينتظر بصبر نهايـــة شهادة الكنيسة. وعندها سينزل الرب في الهواء لينادي خاصته ليكونوا معه. وعليه فإن ذلك التغيير الـــذي عبّر عنه الشاعر سيكون حقيقياً بالنسبة لكل المؤمنين:

"هو وأنا في ذلك المجد الساطع.

الفرح العميق أشاطره.

سأكون معه إلى الأبد،

وهو ما دمت هناك".

الآية الرابعة ممتعة بشكل خاص: "عَالِمِينَ أَيُّهَا الإِخْوَةُ الْمَحْبُوبُونَ مِنَ اللهِ اخْتِيَارَكُمْ". أنّى لـــه أن يعرف ذلك؟ أسُمِحَ له أن يضطلع على سجلات الأبدية ورأى هناك أسماءهم مكتوبة قبل تأســـيس العـــالم؟ هل كشف له الله أحكامه الإلهية الجليلة؟ لا، أبداً. لقد رأى في حياتهم دليلاً على ولادة جديـــدة تجعلـــه لا يشك أبداً في مسألة اصطفائهم. ولقد كان بولس يعرف أن ثمر الروح الذي أُظهر في حياتهم لم يكـــن مـــن الطبيعة، بل كان تدفق الحياة الجديدة بقوة الروح القدس. بهذه الطريقة يُصار اختيارنا واضحاً جلياً.

في الآيات ٥-١٠ يلخص الرسول بولس تأثيرات ونتائج خدمته بـــين هـــؤلاء التســـالونيكيين. فيقول: "إِنَّ إِنْجِيلَنَا لَمْ يَصِرْ لَكُمْ بِالْكَلاَمِ فَقَطْ، بَلْ بِالْقُوَّةِ أَيْضاً، وَبِالرُّوحِ الْقُدُسِ، وَبِـــيَقِينٍ شَـــدِيدٍ، كَمَـــا تَعْرِفُونَ أَيَّ رِجَالٍ كُنَّا بَيْنَكُمْ مِنْ أَجْلِكُمْ". فالإنجيل، بالطبع، لا بد أن يأتي بالكلمة. إنه عمل خدام المســـيح أن يعلنوا كلمة حقيقة الإنجيل للعالم الضال. "اسْتَحْسَنَ اللهُ أَنْ يُخَلِّصَ الْمُؤْمِنِينَ بِجَهَالَةِ (بساطة) الْكِرَازَةِ".

ولكن مجرد عرض أو بسط حقيقة الإنجيل، بمعزل عن قوة الروح القدس، من غير المحتمل أن يؤتي بهكذا نتائج أو ثمار كما رأينا في تسالونيكي. صحيح أن الله في جلال عظمته قد يستخدم كلمته الخاصة أياً كان من يعلنها، أو حتى إن وُجدت على صفحات مطبوعة، ولطالما فعل ذلك، إلا أن طريقته عموماً هي أن يفوّض ويساعد أناساً مكرسين مخلصين لينقلوا الكلمة بوضوح وبقوة الروح القدس. وعندها تكون النتائج أكيدة مضمونة. قال الرب لتلاميذه، كما هو مدون في (أع ١: ٨): "سَتَنَالُونَ قُوَّةً مَتَى حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْكُمْ وَتَكُونُونَ لِي شُهُوداً" (قراءة هامشية). التكلم بقوة الروح القدس أمرٌ ينبغي أن لا تتجاهله أبداً. أن تخطئ الفهم معتبراً أن الفصاحة أو البلاغة البشرية أو فن الخطابة هو الكرازة بقوة الروح القدس هو خطأ عظيم. صدق من قال: "الكرازةُ هي فصاحةٌ وقد حُكَّت بالنار". بهذه الطريقة كان بولس ورفقاؤه قد أعلنوا الإنجيل وهم يمضون من مكان إلى آخر. وكانت ثمرة هكذا إعلان، ليس فقط أن الناس أتوا إلى الإيمان بالمسيح، بل أيضاً أنهم حصلوا على "يقين شديد". إنه لمن المؤسف والباعث على الأسى أن كثيرين من الكارزين بالإنجيل اليوم لا يقدّمون يقين الخلاص لأحد. قد تكون العظاتٌ صحيحةً من الناحية اللاهوتية، ولكنها لا تتطابق حقاً مع حاجات المستمعين، وتكون، على حدِّ قول أحدهم: "واضحة كالكريستال، ولكنها باردة كالجليد". عندما يُكرَز بالكلمة ببساطة وبقوة الروح القدس، فإن أولئك الذين يؤمنون يتلقون يقين إيمان كامل.

القسم الأخير من الآية هام ذو مغزى على نحو كبير، "تَعْرِفُونَ أَيَّ رِجَالٍ كُنَّا بَيْنَكُمْ مِنْ أَجْلِكُمْ". لقد كانوا حريصين على أن يسلكوا أمام الله في قداسة الحياة وفي البر نحو إخوتهم البشر. إن الخادم التقي هو سلاحٌ هائل في يد الله يدُكُّ به معاقل الخطيئة. قال إميرسون لأحدهم: "ما تقوله بصوت مرتفع لا أستطيع أن أسمعه". إنه لأمر مثير للشفقة لو كان ذلك حقيقياً، ويا للأسف، فغالباً ما كان هذا حقيقياً عند خدام المسيح. إن استقامة الحياة، وتكرّس القلب، وقداسة الروح تميز من يعلنون إنجيل النعمة. إن أسلوب بولس ورفاقه في نكران الذات قد كان له وقع عميق في نفس هؤلاء التسالونيكيين. إنه يكتب قائلاً: "أَنْتُمْ صِرْتُمْ مُتَمَثِّلِينَ بِنَا (محاكين أو مقلدين لنا) وَبِالرَّبِّ، إِذْ قَبِلْتُمُ الْكَلِمَةَ فِي ضِيقٍ كَثِيرٍ، بِفَرَحِ الرُّوحِ الْقُدُسِ". يبدو الأمر غريباً هنا أنه يتحدث عن نفسه وعن رفاقه قبل أن يتحدث عن الرب، ولكن علينا أن نتذكر أن هؤلاء التسالونيكيين ما كانوا قد سمعوا بالرب، وعلى الأرجح أنهم ما كانوا ليسمعوا به أبداً لولا ذهاب بولس ورفاقه إليهم. إن ما رآه هؤلاء التسالونيكيون في بولس ورفيقيه هو ما قادهم للاهتمام بأمور الرب، وإذ آمنوا هكذا بالمسيح، اتخذوا من خدامه أمثلة لهم، وفي تمثلهم بهم كانوا فعلياً يتبعون الرب.

لقد تلقوا الكلمة بضيق كثير ومع ذلك بفرح أيضاً. يبدو هذا متناقضاً، وهو بالفعل هكذا. إلا أن المسيحي قد يكون في حالة أسى ومع ذلك يبتهج دائماً. إن الضيق الذي يشير إليه الرسول بولس له جانبان. كان هناك بالطبع ندم عميق إذ أدركوا خطيئتهم وإثمهم وتفجعوا على سنين فجورهم ووثنيتهم. إلى ذلك أيضاً كانوا يعرفون أن اتخاذ القرار باتباع المسيح سوف يعني، في أمور كثيرة، انفصالهم عمن يحبون، وسوء فهم محزن، بل حتى اضطهاداً مريراً. ولكنهم كانوا مستعدين لكل ذلك. لقد حسبوا النفقة،

واعتبروا أن المسيح يعني بالنسبة لهم أكثر بكثير من راحة أو تعزية مؤقتة أو ازدهار دنيوي، ولـذلك فقـد قبلوا الرسالة بفرح، تلك الرسالة التي كانت تقول بأن خطاهم غُفرت وأن لهم أمل في السماء.

لقد كان التغيير الحاصل في حياتهم كبيراً حتى أن الآخرين سرعان ما لاحظوه. لقد صاروا "قُدْوَةً لِجَمِيعِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ فِي مَكِدُونِيَّةَ وَفِي أَخَائِيَةَ". كانت تسالونيكي إحدى المدن الرئيسـية في مَكِدُونِيَّـةَ؛ وكانت أَخَائِيَةَ هي المقاطعة المجاورة. وانتقل الخبر إلى مدينة تلو الأخرى عما جرى في تسالونيكي، حيـث كان بولس قد عمل جاهداً وبجد. وأولئك الذين اهتدوا بكرازته أصبحوا، أنفسهم، كـارزين بـدورهم. وبواسطة هؤلاء الكارزين والمبشرين أُعلنت كلمة الرب. ليس فقط في مكدونية بل في كل مكان أيضـاً، انتقل خبر ما حدث. لم يكن ضرورياً بالنسبة لأي أحد أن يصر على واقعية أو حقيقـة اهتـدائهم. فقـد جعلت حياتُهم الأمرَ واضحاً في أنهم كانوا على اتصال مع الله.

في الآيتين الأخيرتين لدينا الكلمتين اللتين تلخّصان مجمل الحياة المسيحية– "يخدم" و"ينتظـر". لا حظ الترابط بينهما. "هُمْ يُخْبِرُونَ عَنَّا أَيُّ دُخُولٍ كَانَ لَنَا إِلَيْكُمْ، وَكَيْفَ رَجَعْتُمْ إِلَى اللهِ مِنَ الأَوْثَانِ لِتَعْبُدُوا اللهَ الْحَيَّ الْحَقِيقِيَّ، وَتَنْتَظِرُوا ابْنَهُ مِنَ السَّمَاءِ، الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ، يَسُوعَ، الَّذِي يُنْقِذُنَا مِنَ الْغَضَـبِ الآتِي". لقد كان هذا اهتداءً حقيقياً. لقد تحولوا إلى الله، وفي تحولهم إلى الله انصرفوا عن الأوثـان. لـدينا ترتيب مختلف في (أع ١٤: ١٥). ففي حديثه إلى رجال إِيقُونِيَةَ، يقول بولس: "نَحْنُ أَيْضاً بَشَرٌ تَحْتَ آلاَمٍ مِثْلُكُمْ نُبَشِّرُكُمْ أَنْ تَرْجِعُوا مِنْ هَذِهِ الأَبَاطِيلِ إِلَى الإِلَهِ الْحَيِّ". ليس من تناقض بين المقطعين. فكلاهما يوحي بتوبة حقيقية كانت قاعدة اهتدائهم. أن تتوب يعني أن تغير الفكر: أي يعكس المرء موقفه، ولذلك فهؤلاء الذين كانوا عبدة أوثان تحولوا إلى الإله الحي الحقيقي، بعد أن كانوا ممعنين في ممارسات وثنية. واليوم عندما يؤمن الناس بالمسيح وينحنون أمام الله في توبة فإنهم ينصرفون عن أمور العالم الملحد ويستسـلمون لـذاك الذي مات ليفتديهم. تلا اهتداء هؤلاء التسالونيكيين، كما أشرنا سالفاً، موقفٌ جديد يتمثل بكلمتين. لقد كانوا يسعون ليخدموا الإله الحقيقي الحي في حين أنهم ينتظرون ابنه من السـماء. يقـال لنـا أحيانـاً أن الانشغال بالمجيء الثاني للرب فيه نزعة لخنق النشاطات والفعاليات عند المسيحي. فالناس يصبحون حالمين، ومأخوذين بالقضايا النبوية، ولا يعودون يهتمون بالعيش لأجل الله أو بالسعي لربح الآخـرين للمسـيح. بصراحة، إن خبرتي الشخصية تعلمني أن العكس هو الصحيح. فكلما استحوذت هذه الحقيقـة المباركـة على النفس، كلما اهتم المرء، ليس فقط بخدمة الله بل أيضاً بربح الآخرين إلى المسيح. لقد كانوا يعيشـون يوماً فيوماً مترقبين عودة المسيح، لقد كانوا يتوقون إليه– وهو القائم والصاعد– لكي يعود ثانية كمنقـذ من الغضب الآتي. والغضب المُشار إليه هنا، في نظري، هو ليس الدينونة الأبدية. بل إنه يشير إلى الغضـب الذي سينزل بالعالم. هذا الغضب لا يزال أمراً مستقبلياً. ولكن الرب وعد بأن يأخذ خاصته قبل أن تطلـق أبواقُ الغضب نفيرَها وقبل أن تقع الدينونة والضيقة العظيمة على العالم. من الواضـح، إلى حـد مـا، أن بولس قد أشار إلى أن وقت الشدة هذا سيكون في المستقبل، ولكنه أيضاً قال لهـم بـأن يسـوع سـيأتي ويختطف خاصته قبل أن ينطلق جام ذلك الغضب. ومجيئه لا يزال رجاء القديسين المؤمنين به.

الخطبة الثانية

الخدمة على مثال المسيح

"لأَنَّكُمْ أَنْتُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ تَعْلَمُونَ دُخُولَنَا إِلَيْكُمْ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَاطِلاً، بَلْ بَعْدَ مَا تَأَلَّمْنَا قَبْلاً وَبُغِيَ عَلَيْنَا كَمَا تَعْلَمُونَ، فِي فِيلِبِّي، جَاهَرْنَا فِي إِلَهِنَا أَنْ نُكَلِّمَكُمْ بِإِنْجِيلِ اللهِ، فِي جِهَادٍ كَثِيرٍ. لأَنَّ وَعْظَنَا لَيْسَ عَنْ ضَلاَلٍ، وَلاَ عَنْ دَنَسٍ، وَلاَ بِمَكْرٍ، بَلْ كَمَا اسْتُحْسِنَّا مِنَ اللهِ أَنْ نُؤْتَمَنَ عَلَى الإِنْجِيلِ هَكَذَا نَتَكَلَّمُ، لاَ كَأَنَّنَا نُرْضِي النَّاسَ بَلِ اللهَ الَّذِي يَخْتَبِرُ قُلُوبَنَا. فَإِنَّنَا لَمْ نَكُنْ قَطُّ فِي كَلاَمِ تَمَلُّقٍ كَمَا تَعْلَمُونَ، وَلاَ فِي عِلَّةِ طَمَعٍ. اللهُ شَاهِدٌ. وَلاَ طَلَبْنَا مَجْداً مِنَ النَّاسِ، لاَ مِنْكُمْ وَلاَ مِنْ غَيْرِكُمْ مَعَ أَنَّنَا قَادِرُونَ أَنْ نَكُونَ فِي وَقَارٍ كَرُسُلِ الْمَسِيحِ. بَلْ كُنَّا مُتَرَفِّقِينَ فِي وَسَطِكُمْ كَمَا تُرَبِّي الْمُرْضِعَةُ أَوْلاَدَهَا، هَكَذَا إِذْ كُنَّا حَانِّينَ إِلَيْكُمْ كُنَّا نَرْضَى أَنْ نُعْطِيَكُمْ، لاَ إِنْجِيلَ اللهِ فَقَطْ بَلْ أَنْفُسَنَا أَيْضاً، لأَنَّكُمْ صِرْتُمْ مَحْبُوبِينَ إِلَيْنَا. فَإِنَّكُمْ تَذْكُرُونَ أَيُّهَا الإِخْوَةُ تَعَبَنَا وَكَدَّنَا، إِذْ كُنَّا نَكْرِزُ لَكُمْ بِإِنْجِيلِ اللهِ، وَنَحْنُ عَامِلُونَ لَيْلاً وَنَهَاراً كَيْ لاَ نُثَقِّلَ عَلَى أَحَدٍ مِنْكُمْ. أَنْتُمْ شُهُودٌ، وَاللهُ، كَيْفَ بِطَهَارَةٍ وَبِرٍّ وَبِلاَ لَوْمٍ كُنَّا بَيْنَكُمْ أَنْتُمُ الْمُؤْمِنِينَ. كَمَا تَعْلَمُونَ كَيْفَ كُنَّا نَعِظُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ كَالأَبِ لأَوْلاَدِهِ، وَنُشَجِّعُكُمْ، وَنُشْهِدُكُمْ لِكَيْ تَسْلُكُوا كَمَا يَحِقُّ لِلَّهِ الَّذِي دَعَاكُمْ إِلَى مَلَكُوتِهِ وَمَجْدِهِ" (١ تسالونيكي ٢: ١– ١٢).

في هذه الآيات الإثنَي عشر يراجع الرّسول بولس خدمتَه ورفيقَيه، في مدينة تسالونيكي. إنه يذكّر المؤمنين كيف جاء إليهم من فيليبي حيث كان قد "بُغيَ عليهم". في الأصحاح السّادس عشر من سفر أعمال الرّسل نجد تسجيلاً لتلك المعاملة المُهينَة ونعلَم أنّ بولس وسيلا قد اعتُقلا ظُلماً، وجُلدا بالسّياط وأُلقيَ بهما في زنزانة. ووُضعَتْ أقدامُهما في الْمِفْطَرَةِ[1]. وبينما هما هناك، وفي الّليل، كانا يصلّيان ويسبّحان الله. قال أحدهم أن الإنجيل قد دخل إلى أوروبّة في حفل موسيقيّ مقدّس. وكان هناك فنّانان، أحدهما كان بولس والآخر سيلا، وكأنّهما تينور[2] وباص[3].

لا نعلم أيّة ترانيم أو تسابيح كانوا يغنّون، ولكنّ الحفل أُقيم، وكان مؤثّراً جدّاً حتّى أنّه زعزع أساس المبنى (السّجن). كانت هناك زلزلة عظيمة وانهار السّجن. وتلك كانت نتيجة الحفل الموسيقيّ الإنجيليّ الأوّل الّذي لدينا تدوين له في العهد الجديد. في اليوم الذي تلا اهتداء السجّان، أرسلت السّلطات في المدينة إلى بولس وسيلا وطلبوا تحريرهم، ولكن بولس قال: "ضَرَبُونَا جَهْراً غَيْرَ مَقْضِيٍّ عَلَيْنَا وَنَحْنُ رَجُلاَنِ رُومَانِيَّانِ وَأَلْقَوْنَا فِي السِّجْنِ – أَفَالآنَ يَطْرُدُونَنَا سِرّاً؟" وهكذا فإنّ بولس، ولأجل الإنجيل، لَنَلا يُلْحق أيّ خزْيٍ بالرّسالة رفض أن يخرج بتلك الطّريقة. فطلب قائلاً: "كَلاَّ! بَلْ لِيَأْتُوا هُمْ أَنْفُسُهُمْ وَيُخْرِجُونَا". وعلى هذا اتّفق الوُلاة في نهاية الأمر.

---

[1]- المِفْطَرَةِ: (stocks): أداة تعذيب خشبيّة ذات ثقوب كانت تقيّد فيها رجلا أو يدا أو رأس المذنب، ويُوضع في مكان عام لكي يُسخر منه أو يُشتم أو يُعامل بالسوء.[فريق الترجمة].

[2]- التينور: (TENOR) : الصادح: أعلى أصوات الرجال.

[3]- الباص (BASS) : (الجهير) : صوت عميق وخفيض.

عندما أُطلق بولس وسيلا من السّجن غادرا فيلبّي بعد لقاءٍ وداعيٍّ مع الأخوة في بيت ليديَّة. وسارا في الطريق الرئيسي إلى مدينة تسالونيكي وهناك كرزا بالكلمة، وأتى كثيرون إلى المعرفة المخلّصة للربّ يسوع المسيح.

يذكر الرسول، في الآية ٣، قداسة الحياة التي يجب أن تُغيِّر مَنْ يُعلنُ رسالة الله. فيقول: "لأَنَّ وَعْظَنَا لَيْسَ عَنْ ضَلاَلٍ، وَلاَ عَنْ دَنَسٍ، وَلاَ بِمَكْرٍ". لم يكن غير مُبالٍ في حياته الذّاتيَّة. إنّه لأمر في غاية الأهمّيّة أن يحيا المُبَشِّر الإنجيلَ الذي يكرز به. يجب ألا يكون هناك أيُّ شرٍّ مَخفيٍّ، أو أي شيءٍ دنس في حياته، أو أي شيء يُحزن قدس روح الله. لقد كان بولس منتبهاً إلى هذه المسألة. وكان يُعلن أنه ليس هناك من خداع أو دنس أو مكر لديه أو لدى رُفقائه. لقد كانوا صريحين وواضحين بشكل كامل وفي كل الأمور، فلم يكن لديهم أية مكائد مخفية. ولم يخرجوا للكرازة من أجل المال، بل لِيُعَلُّوا المسيح ويربحوا النفوس.

إننا ندرك حقيقة أنّ خُدّام المسيح يجب أن يعيشوا، وإن الكتاب المقدس يقول: "إنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَ بِالإِنْجِيلِ مِنَ الإِنْجِيلِ يَعِيشُونَ" (١ كو ٩: ١٤). ولكن عندما يكرز الخُدَّام بالمسيح ببساطة كوسيلة لكسب الرزق فإنهم يضلُّون سَواءَ السَّبيل. إن الرب سَيؤيِّد أولئك الذين يُنجزون العمل الذي يوكلهم به بإخلاص، ولكن إذا جعلوا المكسب الشّخصي هدفاً لهم، فإنّ خدمتهم تصبح بغيضةً في نظر الله. ولذلك فإن بولس كان يُنكر كل دافع أنانيٍّ خلال كرازته. إنه يقول: "كَمَا اسْتُحْسِنَّا مِنَ اللهِ أَنْ نُؤْتَمَنَ عَلَى الإِنْجِيلِ هَكَذَا نَتَكَلَّمُ". هذا تعبيرٌ مذهلٌ صاعقٌ. إنه ليس خيار الإنسان بل خيار الله. لقد كان ذلك، إذاً، من الله، ونظر بولس إليه كامتياز– هذا العمل الكرازي بالإنجيل. يقول: "كَمَا اسْتُحْسِنَّا مِنَ اللهِ أَنْ نُؤْتَمَنَ عَلَى الإِنْجِيلِ هَكَذَا نَتَكَلَّمُ، لاَ كَأَنَّنَا نُرْضِي النَّاسَ بَلِ اللهَ الَّذِي يَخْتَبِرُ قُلُوبَنَا". لاحظ ما يلي: لقد ائتُمنوا على الإنجيل، وتلك هي الرسالة الوحيدة العظيمة التي على خادم المسيح أن يقدِّمها للعالم الضالِّ. نجد أن أناساً يقترحون كلَّ أنواع المواضيع للخُدَّام لكي يكرزوا بها؛ وصحيح أن على خادم المسيح أن يهتمَّ بكلِّ شيءٍ من أجل تحسين الإنسانيَّة؛ ولكن من جهة أخرى، إن عمله هو أن يكرز فقط بالإنجيل وبكلمة الرب. لو أمكننا أن نخلّص البشر وحسب، فعندها ستستقيم أحوال كلّ الأشياء الأخرى. إن جعلنا النّاس على علاقة سليمة مع الرّبّ، فلن تكون هناك مشكلة مع الأشياء الأخرى. ومن هنا فإنّ هدف بولس لم يكن إعطاء خطاب سياسي أو محاضرة علمية ما. لقد كان لديه هدف واحد وحسب، وذلك الهدف هو أن يعرف النّاس إنجيل نعمة الله. "لأَنِّي لَمْ أَعْزِمْ أَنْ أَعْرِفَ شَيْئاً بَيْنَكُمْ إِلاَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ وَإِيَّاهُ مَصْلُوباً" (١ كو ٢: ٢).

لاحظوا كيف يتحدَّث بقوة في الآيات ٥ و ٦، فيما يخصّ تكرُّسه القلبيّ الوحيد لله: "فَإِنَّنَا لَمْ نَكُنْ قَطُّ فِي كَلاَمِ تَمَلُّقٍ كَمَا تَعْلَمُونَ، وَلاَ فِي عِلَّةِ طَمَعٍ. اللهُ شَاهِدٌ. وَلاَ طَلَبْنَا مَجْداً مِنَ النَّاسِ، لاَ مِنْكُمْ وَلاَ مِنْ غَيْرِكُمْ مَعَ أَنَّنَا قَادِرُونَ أَنْ نَكُونَ فِي وَقَارٍ كَرُسُلِ الْمَسِيحِ". لقد كان بولس ورفيقَاه نزيهَيْن بشكل

مطلق لا مُبالين بمصلحتهم الذّاتية. لم يفكّروا أبداً إلا بخير وصالح الآخرين ومجد الله. وهـذا هـو الموقـف الصّائب والسّليم لكل مُبَشِّر وكل خادم للمسيح.

في الآية ٧ يقول: "بَلْ كُنَّا مُتَرَفِّقِينَ فِي وَسَطِكُمْ كَمَا تُرَبِّي الْمُرْضِعَةُ أَوْلاَدَهَا". وفيما يلي القـراءة الأفضل لهذه الآية: قد يكون هناك فرق بين أسلوب تعامل الممرّضة أو المرضعة مع أولاد امـرأة أخـرى، وبين تعاملها مع أولادها بالذات. وإن بولس كان يعتبر هؤلاء المؤمنين التسالونيكيين، أولئـك المسـيحيّين الجدد الذين أتوا مؤخراً إلى معرفة المسيح، كأولاد له بالإيمان. لقد كان يُجهد نفسه بكلّ طريقـة ممكنـة لينمّيهم في المسيح. لعلّه كان يستطيع القول: "بما أنّكم قد اهتديتم الآن، فأقلّ ما يمكن أن تفعلوه هـو أن تكونوا مهتمّين بتأييدي"، ولكنّه لم يفعل ذلك، إنه كان لِيَأبى أن يحدر الإنجيل إلى ذلك المسـتوى المُتَـدَنّي. وهكذا نعرف أنه، وفي مناسبات عديدة، وعندما كانت تَنْفَذ موارده الماليّة كان يلجأ إلى صُنعِ الخيام لكـي يُعيْن نفسه ورفيقَيْه. عندما كان يُدرك القدّيسون (المسيحيُّون) مسؤوليّتهم تجاهه ويعتبرون أن اهتمامهم بـه امتيازاً، فإن بولس كان يقتبلها برحابة صدر، ولكنّه أبداً لم يختبرهم في ذلك.

"هَكَذَا إِذْ كُنَّا حَانِّينَ إِلَيْكُمْ كُنَّا نَرْضَى أَنْ نُعْطِيَكُمْ، لاَ إِنْجِيلَ اللهِ فَقَطْ بَلْ أَنْفُسَنَا أَيْضـاً، لأَنَّكُـمْ صِرْتُمْ مَحْبُوبِينَ إِلَيْنَا". لقد وضع نفسه حرفياً من أجلهم. وإنه يطلب منهم أن يتذكّروا ما حدث بالفعـل. فيقول: "فَإِنَّكُمْ تَذْكُرُونَ أَيُّهَا الإِخْوَةُ تَعَبَنَا وَكَدَّنَا، إِذْ كُنَّا نَكْرِزُ لَكُمْ بِإِنْجِيلِ اللهِ، وَنَحْنُ عَامِلُونَ لَيْلاً وَنَهَاراً كَيْ لاَ نُثَقِّلَ عَلَى أَحَدٍ مِنْكُمْ". الكلمة "كدّ" تشير إلى آلام الولادة. إذ يكتب إلى أهل غلاطيـة، يخاطبـهم بولس الرسول قائلاً: "يَا أَوْلاَدِي الَّذِينَ أَتَمَخَّضُ بِكُمْ أَيْضاً إِلَى أَنْ يَتَصَوَّرَ الْمَسِيحُ فِيكُمْ"[4]. ألا ليتنا نعرف أكثر عن هذا الهدف الجدّي الذي يُميِّز بولس، هذا الكَرْب في النّفس لكي يأتي الناس إلى المسيح، كم كنّا سنرى في هذه الحالة كثيرين يعترفون باسمه! إن المشكلة هي أننا نأخذ هذه الأمور بطريقـة مسـالمة وبـلا مبالاة. كان الأمر مختلفاً عند بولس. لقد كان قلقاً جداً حتى مرَّ بكرب حقيقيّ في نفسه عندما كان النـاس لا يأتون إلى المسيح، إذ كان يشعر بمسؤوليّة شديدة تجاههم.

لقد أمكنه أن يقول دون أن يناقض نفسه: "أَنْتُمْ شُهُودٌ، وَاللهُ، كَيْفَ بِطَهَارَةٍ وَبِرٍّ وَبِلاَ لَوْمٍ كُنَّـا بَيْنَكُمْ أَنْتُمُ الْمُؤْمِنِينَ. كَمَا تَعْلَمُونَ كَيْفَ كُنَّا نَعِظُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ كَالأَبِ لأَوْلاَدِهِ، وَنُشَجِّعُكُمْ، وَنُشْهِدُكُمْ لِكَيْ تَسْلُكُوا كَمَا يَحِقُّ لِلَّهِ الَّذِي دَعَاكُمْ إِلَى مَلَكُوتِهِ وَمَجْدِهِ". لقد تبعَ المسيح لكيما يروا فيه ما يجـب أن يكون عليه الخادم الحقيقي للرب.

"مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ نَحْنُ أَيْضاً نَشْكُرُ اللهَ بِلاَ انْقِطَاعٍ، لأَنَّكُمْ إِذْ تَسَلَّمْتُمْ مِنَّا كَلِمَـةَ خَبَـرٍ مِـنَ اللهِ، قَبِلْتُمُوهَا لاَ كَكَلِمَةِ أُنَاسٍ، بَلْ كَمَا هِيَ بِالْحَقِيقَةِ كَكَلِمَةِ اللهِ، الَّتِي تَعْمَلُ أَيْضاً فِيكُمْ أَنْتُمُ الْمُؤْمِنِينَ. فَـإِنَّكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ صِرْتُمْ مُتَمَثِّلِينَ بِكَنَائِسِ اللهِ الَّتِي هِيَ فِي الْيَهُودِيَّةِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، لأَنَّكُمْ تَأَلَّمْتُمْ أَنْتُمْ أَيْضـاً مِنْ أَهْلِ عَشِيرَتِكُمْ تِلْكَ الآلاَمَ عَيْنَهَا كَمَا هُمْ أَيْضاً مِنَ الْيَهُودِ، الَّذِينَ قَتَلُـوا الـرَّبَّ يَسُـوعَ وَأَنْبِيَـاءَهُمْ،

---

[4]- (غل ٤: ١٩).

وَاضْطَهَدُونَا نَحْنُ. وَهُمْ غَيْرُ مُرْضِينَ لِلّهِ وَأَضْدَادٌ لِجَمِيعِ النَّاسِ يَمْنَعُونَنَا عَنْ أَنْ نُكَلِّمَ الأُمَمَ لِكَيْ يَخْلُصُوا حَتَّى يُتَمِّمُوا خَطَايَاهُمْ كُلَّ حِينٍ. وَلَكِنْ قَدْ أَدْرَكَهُمُ الْغَضَبُ إِلَى النِّهَايَةِ" (الآيات ١٣– ١٦).

في الآيات ١٣– ١٦ يُذكّرهم بنتيجة عمله وسطهم: "مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ نَحْنُ أَيْضاً نَشْكُرُ اللهَ بِلاَ انْقطَاعٍ، لأَنَّكُمْ إِذْ تَسَلَّمْتُمْ مِنَّا كَلِمَةَ خَبَرٍ مِنَ اللهِ، قَبِلْتُمُوهَا لاَ كَكَلِمَةِ أُنَاسٍ، بَلْ كَمَا هِيَ بِالْحَقِيقَةِ كَكَلِمَةِ اللهِ، الَّتِي تَعْمَلُ أَيْضاً فِيكُمْ أَنْتُمُ الْمُؤْمِنِينَ. فَإِنَّكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ صِرْتُمْ مُتَمَثِّلِينَ بِكَنَائِسِ اللهِ الَّتِي هِيَ فِي الْيَهُودِيَّةِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، لأَنَّكُمْ تَأَلَّمْتُمْ أَنْتُمْ أَيْضاً مِنْ أَهْلِ عَشِيرَتِكُمْ تِلْكَ الآلاَمَ عَيْنَهَا كَمَا هُمْ أَيْضاً مِنَ الْيَهُودِ، الَّذِينَ قَتَلُوا الرَّبَّ يَسُوعَ وَأَنْبِيَاءَهُمْ، وَاضْطَهَدُونَا نَحْنُ. وَهُمْ غَيْرُ مُرْضِينَ لِلَّهِ وَأَضْدَادٌ لِجَمِيعِ النَّاسِ يَمْنَعُونَنَا عَنْ أَنْ نُكَلِّمَ الأُمَمَ لِكَيْ يَخْلُصُوا حَتَّى يُتَمِّمُوا خَطَايَاهُمْ كُلَّ حِينٍ. وَلَكِنْ قَدْ أَدْرَكَهُمُ الْغَضَبُ إِلَى النِّهَايَةِ". لاحظ ما فعله الإنجيل لهؤلاء التسالونيكيّين. لقد رأوا برهاناً من الحقّ والواقعيّة في حياة بولس حتى شعروا أنهم مضطرّين ليمنحوا رسالته الْتفاتَة، وإذ أصغوا إليها، دخلت مباشرة إلى قلوبهم ومسّت ضميرهم وآمنوا بالرسالة. لاحظ أنهم أصبحوا مسيحيين واقتبلوا الإنجيل ليس كـ "كلمة بَشَر"، بل ككلمة الله الحي، فعملتْ بشكل فعَّال فيهم. فبالكلمة نأتي إلى التّوبة، وبتلك الكلمة تجدّدوا؛ كما يقول الرسول بولس: "مَوْلُودِينَ ثَانِيَةً، .... ، بِكَلِمَةِ اللهِ الْحَيَّةِ الْبَاقِيَةِ إِلَى الأَبَدِ"[5]. إنها كلمة الإنجيل هي التي تدخل الرسالة إلى قلوب وضمائر البشر، ويتقدّسون بتلك الحقيقة نفسها. قال يسوع: "قَدِّسْهُمْ فِي حَقِّكَ. كَلاَمُكَ هُوَ حَقٌّ" (يوحنا ١٧: ١٧). فهذه الحقيقة التي دخلت إلى قلوب أولئك التسالونيكيين هي من قادهم إلى اتخاذ ذلك الموقف نفسه. أولئك الذين كانوا يهوداً بالولادة اضطُروا ليتحوَّلوا عن أحبَّائهم؛ كان عليهم أن يتحوّلوا عن أصدقائهم المقرّبين، ويحتملوا الاضطهاد المرير، ويحتملوا التّوبيخ لأجل المسيح. أولئك الذين تحوّلوا عن الوثنيّة عانوا دائماً من أقاربهم الوثنيّين وأصدقائهم السّابقين، كما اليهود المسيحيّون في اليهوديّة عانوا من أصدقائهم وأقربائهم اليهود. ليس من حدٍّ لما يُمكن أن يفعله الإجحاف الديني عندما تصبح عيون البشر عمياء. فاليهود غير المهتدين حاولوا أن يُعيقُوا الرّسول بولس عن الذّهاب إلى الأمميّين برسالة الخلاص بالإيمان بالمسيح؛ وهكذا قدّموا الدّليل على أن الغضب قد وقع عليهم حتى الثّمالة. فالله سيتعامل مع أولئك الذين رفضوا ابنه وسعوا لإعاقة أولئك الذين يؤمنون به.

"وَأَمَّا نَحْنُ أَيُّهَا الإِخْوَةُ، فَإِذْ قَدْ فَقَدْنَاكُمْ زَمَانَ سَاعَةٍ، بِالْوَجْهِ لاَ بِالْقَلْبِ، اجْتَهَدْنَا أَكْثَرَ بِاشْتِهَاءٍ كَثِيرٍ أَنْ نَرَى وُجُوهَكُمْ. لِذَلِكَ أَرَدْنَا أَنْ نَأْتِيَ إِلَيْكُمْ أَنَا بُولُسَ مَرَّةً وَمَرَّتَيْنِ. وَإِنَّمَا عَاقَنَا الشَّيْطَانُ. لأَنْ مَنْ هُوَ رَجَاؤُنَا وَفَرَحُنَا وَإِكْلِيلُ افْتِخَارِنَا؟ أَمْ لَسْتُمْ أَنْتُمْ أَيْضاً أَمَامَ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ فِي مَجِيئِهِ؟ لأَنَّكُمْ أَنْتُمْ مَجْدُنَا وَفَرَحُنَا".

في الآيات ١٧– ٢٠ يعبّر الرسول بولس عن رغبة قلبه العميقة الشديدة لأن يرى هؤلاء المهتدين الجدد ثانيةً، ويخبرهم كيف أنه يتشوق بفرح إلى تجليهم عند كرسي الدينونة الذي سيتربع عليه المسيح. يقول: "وَأَمَّا نَحْنُ أَيُّهَا الإِخْوَةُ، فَإِذْ قَدْ فَقَدْنَاكُمْ زَمَانَ سَاعَةٍ، بِالْوَجْهِ لاَ بِالْقَلْبِ، اجْتَهَدْنَا أَكْثَرَ

---

[5]- (١ بطرس ١: ٢٣).

بِاشْتِهَاءٍ كَثِيرٍ أَنْ نَرَى وُجُوهَكُمْ. لِذَلِكَ أَرَدْنَا أَنْ نَأْتِيَ إِلَيْكُمْ أَنَا بُولُسَ مَرَّةً وَمَرَّتَيْنِ. وَإِنَّمَا عَاقَنَا الشَّيْطَانُ". لقد أراد أن يرجع إليهم ولكن الشيطان أعاقه. متى نعرف سبب الإعاقة إن كانت من الشيطان أم من الله؟ لقد أعاق الشيطان الرسول بإثارة اضطهادات ضده لدرجة عجز معها أن يرجع إلى تسالونيكي في ذلك الوقت. إن كل محاولات الشيطان، أياً تكن، لن تُفيد في شيء إذا لم يسمح الله له بالعمل. نفعل حسناً إن ميَّزْنا بين إرادة الله المباشرة وتلك التي يسمح الله بها– إرادته المُجيْزَة. كثيراً ما يعاني الناس من إبليس وزبانيته ولكن كل شيء يحدث كأنه من الله نفسه. "لأَنْ مَنْ هُوَ رَجَاؤُنَا وَفَرَحُنَا وَإِكْلِيلُ افْتِخَارِنَا؟ أَمْ لَسْتُمْ أَنْتُمْ أَيْضاً أَمَامَ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ فِي مَجِيئِهِ؟ لأَنَّكُمْ أَنْتُمْ مَجْدُنَا وَفَرَحُنَا". وحتى لو لم يرهم ثانية على الأرض، فإنه سيراهم في ذلك اليوم الذي يعود فيه الرب. ففي ذلك اليوم سيكونون إكليل فرحه. وستكون هذه المكافأة الكبيرة الوافرة بسبب كرازته وبذله لذاته وتكرّسه في الحياة. إن كل نفْسٍ نقودها إلى المسيح تشارك في صنع تاج بهجتنا. أفلن تحزن إن الْتقيت بالرب وليس لديك تاج الفرح لأنك أخفقت في أن تقود أحداً ما إلى المسيح على الأرض؟ هل حدّثْتَ الناس أبداً عن مُخَلّصك؟ هل كتَبْت رسائل إلى أصدقاء تخبرهم كيف أن الرب قد خلّصك؟ هل نقَلْت رسالة الإنجيل إلى آخرين؟ يا لها من فرحة تلك التي ينالها من يربح الرجال والنِّساء والأطفال أيضاً إلى المسيح! عندما نقف في ذلك اليوم في حضرته، كم سيكون رائعاً وذا قيمة إن أمكننا القول: "ها أنذا والأولاد الذين أعطيتني إياهم". يا له من جمع غفير سيحيط ببولس الرسول في ذلك اليوم من التَّجَلِّي! هل تعرف من تستطيع أن تقوده إلى المسيح؟ إن لم تكن قد أرشدتَ أحداً إليه، أفلا تمضي اليوم وأنت عازمٌ بنعمة الله على أن تدُلَّ أحدهم إلى المُخَلّص الذي يعني الكثير بالنسبة لك.

الخطبة الثالثة

الثبات في الإيمان

"لِذَلِكَ إِذْ لَمْ نَحْتَمِلْ أَيْضاً اسْتَحْسَنَّا أَنْ نُتْرَكَ فِي أَثِينَا وَحْدَنَا. فَأَرْسَلْنَا تِيمُوثَاوُسَ أَخَانَا، وَخَادِمَ اللهِ، وَالْعَامِلَ مَعَنَا فِي إِنْجِيلِ الْمَسِيحِ، حَتَّى يُثَبِّتَكُمْ وَيَعِظَكُمْ لأَجْلِ إِيمَانِكُمْ، كَيْ لاَ يَتَزَعْزَعَ أَحَدٌ فِي هَذِهِ الضِّيقَاتِ. فَإِنَّكُمْ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّنَا مَوْضُوعُونَ لِهَذَا. لأَنَّنَا لَمَّا كُنَّا عِنْدَكُمْ سَبَقْنَا فَقُلْنَا لَكُمْ: إِنَّنَا عَتِيدُونَ أَنْ نَتَضَايَقَ، كَمَا حَصَلَ أَيْضاً، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ. مِنْ أَجْلِ هَذَا إِذْ لَمْ أَحْتَمِلْ أَيْضاً، أَرْسَلْتُ لِكَيْ أَعْرِفَ إِيمَانَكُمْ، لَعَلَّ الْمُجَرِّبَ يَكُونُ قَدْ جَرَّبَكُمْ، فَيَصِيرَ تَعَبُنَا بَاطِلاً. وَأَمَّا الآنَ فَإِذْ جَاءَ إِلَيْنَا تِيمُوثَاوُسُ مِنْ عِنْدِكُمْ، وَبَشَّرَنَا بِإِيمَانِكُمْ وَمَحَبَّتِكُمْ، وَبِأَنَّ عِنْدَكُمْ ذِكْراً لَنَا حَسَناً كُلَّ حِينٍ، وَأَنْتُمْ مُشْتَاقُونَ أَنْ تَرَوْنَا، كَمَا نَحْنُ أَيْضاً أَنْ نَرَاكُمْ، فَمِنْ أَجْلِ هَذَا تَعَزَّيْنَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ مِنْ جِهَتِكُمْ فِي ضِيقَتِنَا وَضَرُورَتِنَا بِإِيمَانِكُمْ. لأَنَّنَا الآنَ نَعِيشُ إِنْ ثَبَتُّمْ أَنْتُمْ فِي الرَّبِّ. لأَنَّهُ أَيَّ شُكْرٍ نَسْتَطِيعُ أَنْ نُعَوِّضَ إِلَى اللهِ مِنْ جِهَتِكُمْ عَنْ كُلِّ الْفَرَحِ الَّذِي نَفْرَحُ بِهِ مِنْ أَجْلِكُمْ قُدَّامَ إِلَهِنَا؟ طَالِبِينَ لَيْلاً وَنَهَاراً أَوْفَرَ طَلَبٍ أَنْ نَرَى وُجُوهَكُمْ، وَنُكَمِّلَ نَقَائِصَ إِيمَانِكُمْ. وَاللهُ نَفْسُهُ أَبُونَا وَرَبُّنَا يَسُوعُ الْمَسِيحُ يَهْدِي طَرِيقَنَا إِلَيْكُمْ. وَالرَّبُّ يُنْمِيكُمْ وَيَزِيدُكُمْ فِي الْمَحَبَّةِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ وَلِلْجَمِيعِ، كَمَا نَحْنُ أَيْضاً لَكُمْ، لِكَيْ يُثَبِّتَ قُلُوبَكُمْ بِلاَ لَوْمٍ فِي الْقَدَاسَةِ، أَمَامَ اللهِ أَبِينَا فِي مَجِيءِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَعَ جَمِيعِ قِدِّيسِيهِ" (١ تسالونيكي ٣: ١– ١٣).

كما لاحظنا، هذه الرسالة ترتبط على نحو وثيق بالأصحاحات ١٦و١٧ من سفر أعمال الرسل. في الأصحاح ١٦ لدينا زيارة بولس إلى فيلبي، وبسبب الاضطهاد هناك ذهب إلى تسالونيكي، حيث أنجز عملاً عظيماً خلال وقت وجيز. ولكن اندلع الاضطهادُ وأرسل الأخوة بولس إلى بيّرية. وهنا وجد صحبة مع يهود منفتحين كانوا على استعداد أن يصغوا إلى نور الكتاب المقدس ويسلكوا فيه، إذ نقرأ "وَكَانَ هَؤُلاَءِ أَشْرَفَ مِنَ الَّذِينَ فِي تَسَالُونِيكِي فَقَبِلُوا الْكَلِمَةَ بِكُلِّ نَشَاطٍ فَاحِصِينَ الْكُتُبَ كُلَّ يَوْمٍ: هَلْ هَذِهِ الْأُمُورُ هَكَذَا؟ فَآمَنَ مِنْهُمْ كَثِيرُونَ..." (أع ١٧: ١١، ١٢أ). أهل بيرية هؤلاء يجب أن نتخذ منهم مثالاً يُحتذى لنا جميعاً. أحياناً نسمع أشياء جديدة علينا، ونرفضها دون تحرٍ. هذه الرسالة تعلمنا أن نتثبت من كل الأشياء ونتمسك بشدة بما هو صالح وحسن. والفحص، بالطبع، يكون بالاستناد إلى الكتاب المقدس. مهما كانت العقيدة التي نتعلمها علينا أن نقارنها مع كلمة الله: إن كانت حسب الكتاب المقدس فعلينا أن نقتبلها؛ وإن كانت تناقض الكتاب المقدس فعندها نكون على صواب ومسؤولين إذا ما رفضناها. اليهود الذين قاوموا بولس في تسالونيكي انحدروا إلى بيرية وحرضوا الناس ضدهم هناك، فأرسله الأخوة في بيّرية إلى أثينا. فترك بولس سيلا وتيموثاوس خلفه. لا يخبرنا سفر أعمال الرسل أنه طلب إليهما أن يعودا إلى تسالونيكي ليريا أحوال تقدم أولئك المهتدين الجدد. ولكنه عندما مضى إلى أثينا كان قلبه في كَرَبٍ عميق وبقي هناك وحده وأرسل تيموثاوس إلى تسالونيكي ليعرف إذا ما كان هؤلاء المهتدين الجدد يحققون تقدماً في أمور الرب، أو فيما إذا كانوا قد أصبحوا قانطين أو مثبطي الهمة.

لاحظ كيف أن بولس يتحدث إلى زملائه في العمل البشاريّ. إني أجد متعة بالغة دائماً في الطريقة المبهجة التي يشير بها إليهم. يقول: "تِيمُوثَاوُسَ أَخَانَا، وَخَادِمَ اللهِ، وَالْعَامِلَ مَعَنَا فِي إِنْجِيلِ الْمَسِيحِ". ماذا يمكننا أن نقول أكثر من ذلك عن أي خادم للرب. أخٌ محبوب في الرب، شريكٌ عزيز يعمل معنا– لقد كان تيموثاوس كل هذا بالنسبة لبولس ولذلك أرسل تيموثاوس ليثبّت ويعزّي هؤلاء المسيحيين الجدد فيما يخص إيمانهم. لقد كانوا بحاجة إلى تعزية؛ لقد كانوا وسط عالم وثني مُلحد. وكان الأمر يقتضي جهداً كبيراً كي تنفصل عن الجميع وتتبع المسيح. أحياناً لا يبدو أن هذا يكلف كثيراً الآن، ومع ذلك نجد الناس يخشون أن يتخذوا هذه الخطوة. هؤلاء الناس خرجوا عن الوثنية؛ وكانوا محاطين بأعداء قساة؛ فقد أسلموا حياتهم للرب وقدموا شهادة مشرقة من أجله. لقد كان بولس قلقاً من أن تثبط همتهم؛ ولذلك أرسل تيموثاوس ليحضّهم على ألا يتأثروا بهذه المحن، لأنه، وبعد كل شيء، كان هذا هو كل ما يترقبونه، وكل ما يرجوه جميع المسيحيين في العالم. ويضيف قائلاً: "فَإِنَّكُمْ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّنَا مَوْضُوعُونَ لِهَذَا". لَكُثْرَ ما نرى أناساً قد صاروا مسيحيين، يتساءلون إذا ما كانوا قد ارتكبوا غلطة عندما تأتي عليهم الضيقة والمحنة! إنهم يتساءلون فيما إذا كان الله قد غفر لهم حقاً خطاياهم أم لا، وإن كانوا قد ولدوا ثانية حقاً. ولكن لنسمع كلمة الرسول التي تقول: "لأَنَّنَا لَمَّا كُنَّا عِنْدَكُمْ سَبَقْنَا فَقُلْنَا لَكُمْ: إِنَّنَا عَتِيدُونَ أَنْ نَتَضَايَقَ، كَمَا حَصَلَ أَيْضاً، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ". وكان ربنا يسوع قد قال لتلاميذه قبل أن يمضي: "قَدْ كَلَّمْتُكُمْ بِهَذَا لِيَكُونَ لَكُمْ فِيَّ سلاَمٌ. فِي الْعَالَمِ سَيَكُونُ لَكُمْ ضِيقٌ وَلَكِنْ ثِقُوا: أَنَا قَدْ غَلَبْتُ الْعَالَمَ" (يوحنا ١٦: ٣٣). وفي مكان آخر يُخبرنا بولس أن علينا أن نمرّ بضيقات كثيرة لكي ندخل ملكوت الله. لا تقنطوا أعزائي المسيحيين المتألمين. لا تشكّوا في محبة الآب لكم لأنكم تجتازون محناً، أو تواجهون ظروفاً مخيبةً مثبطةً. يقول بطرس الرسول: "لِكَيْ تَكُونَ تَزْكِيَةُ إِيمَانِكُمْ، وَهِيَ أَثْمَنُ مِنَ الذَّهَبِ الْفَانِي، مَعَ أَنَّهُ يُمْتَحَنُ بِالنَّارِ، تُوجَدُ لِلْمَدْحِ وَالْكَرَامَةِ وَالْمَجْدِ عِنْدَ اسْتِعْلاَنِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (١ بطرس ١: ٧).

"لأَنَّنَا لَمَّا كُنَّا عِنْدَكُمْ سَبَقْنَا فَقُلْنَا لَكُمْ: إِنَّنَا عَتِيدُونَ أَنْ نَتَضَايَقَ، كَمَا حَصَلَ أَيْضاً، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ. مِنْ أَجْلِ هَذَا إِذْ لَمْ أَحْتَمِلْ أَيْضاً، أَرْسَلْتُ لِكَيْ أَعْرِفَ إِيمَانَكُمْ، لَعَلَّ الْمُجَرِّبَ يَكُونُ قَدْ جَرَّبَكُمْ، فَيَصِيرَ تَعَبُنَا بَاطِلاً". هناك دائماً إمكانية أن يحدث أن الناس يجعلون الاعتراف المسيحي بدون توبة حقيقية وإيمان مطلق بالمسيح. أحياناً يسهل علينا أن نُساير حشداً أو نسير مع التيار عندما يتحول كثيرون إلى الرب. من السهل تحت وطأة هكذا ظروف أن يبدي إنسانٌ اعترافاً، ولكن بدون عمل حقيقي لله في تلك النفس. كان بولس يخشى أن يكون هناك بعض ممن لم يعترفوا بالمسيح اعترافاً حقيقياً ولم يتجددوا حقيقة، ولذلك فقد أرسل تيموثاوس ليسبر إيمانهم.

في الآيات ٦ إلى ١٠ نعلم بالنبأ السار الذي وصل بولس: "وَأَمَّا الآنَ فَإِذْ جَاءَ إِلَيْنَا تِيمُوثَاوُسُ مِنْ عِنْدِكُمْ، وَبَشَّرَنَا بِإِيمَانِكُمْ وَمَحَبَّتِكُمْ": نعم، إيمانكم ومحبتكم. يمكننا أن نفهم كيف يشعر بولس بمعنى أن يكون المرء في عزلة في أثينا لبرهة من الزمن. لقد سار في شوارع تلك المدينة العظيمة؛ واهتاج قلبه في داخله وهو يرى العبادات الوثنية في كل حدب وصوب. كان كاتبٌ إغريقي قديم قد قال: "أن تجد إلهاً في أثينا أيسرُ من أن تجد إنساناً". لقد كانت الأدلة على العبادة الوثنية في كل مكان، ولم يكن ولو بصيص

ضوء للمسيح يشع إلى أن دخل بولس المدينة، ولم يجد مهتمين كثيرين إلى أن حضّوه على الصعود إلى آريوس باغوس. ففعل ذلك. ولدينا ذلك الخطاب المسجل في أعمال ١٧. على كل حال، وطوال الوقت كان هناك توق ولهفة وقلق لدى بولس إضافة إلى اهتمام بخصوص هؤلاء المسيحيين الجدد في تسالونيكي، ولكن عندما جاء تيموثاوس نقل له الخبر بأن أمورهم تسير على خير ما يرام؛ لقد كانوا يحيون لله: وفي الواقع إن كثيرين قد صاروا كارزين مبشرين. "فَمِنْ أَجْلِ هَذَا تَعَزَّيْنَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ مِنْ جِهَتِكُمْ فِي ضِيقَتِنَا وَضَرُورَتِنَا بِإِيمَانِكُمْ". هذا النبأ الذي وصل إلى بولس أسعد قلبه وأثلج صدره، لأنه كان متعلقاً جداً بالروح بأولئك المهتدين الجدد حتى أمكنه أن يقول: "إِنَّنَا الآنَ نَعِيشُ إِنْ ثَبَتُّمْ أَنْتُمْ فِي الرَّبِّ". أعتقد أن كل رابح حقيقي للنفوس يعرف شيئاً من معنى هذه الكلمات. عندما نحظى بفرحة الإتيان بالخطاة إلى المسيح، كم يُبهج ذلك قلوبنا، ولكن كم تكون سعادتنا كبيرة فيما بعد عندما نعلم أنهم سيقدّمون شهادة مطّردة بإشراق وثبات. كم أنعش روحَ بولس وصولُ هذا النبأ السار عن هؤلاء المهتدين الجدد. فكتب بحماسة متقدة قائلاً: "إِنَّنَا الآنَ نَعِيشُ إِنْ ثَبَتُّمْ أَنْتُمْ فِي الرَّبِّ". يتخيل المؤمنون الجدد أحياناً أن أولئك الذين هم أكبر منهم سناً ويتخذون موقع المرشدين والمعلمين لهم، غالباً ما يكونون قساةً جداً إذا ما حذّروهم بخصوص الأمور الدنيوية التي تتعارض مع شهادة المسيحي الحقيقي. ولكن لو فهموا فقط كم هي متقدة محبة الله الموضوعة في قلب هؤلاء الذين هم رابحو نفوس ولديهم قلوب رعوية حانية مهتمة، فإنهم لن يتعجبوا من أن القادة يضطرون في بعض الأحيان أن يتحدثوا بلهجة شديدة كي يجعلوا المؤمنين الجدد والفتيان يدركون أهمية أن يكونوا مستسلمين كلياً للمسيح. دعوني أؤكد لكم هذا: في ذلك اليوم الذي سيأتي عندما نقف عند عرش الدينونة أمام المسيح، لن يكون أحد آسفاً لأنه مستسلمٌ كلياً للرب. ولكن في ذلك اليوم سيكون هناك كثيرون، وأنا متأكد من ذلك، الذين سيودّون لو قدموا العالم– لوكانوا يملكونه– مقابل أن يكونوا مخلصين ومنفصلين أكثر بشكل حقيقي عن العالم، ومكرسين كلياً لمخلّصهم في هذه الدنيا. هذا ما أراد بولس أن يراه في الذين اهتدوا على يده؛ وهذا هو ما يتوق خدام المسيح المخلصين جميعهم لرؤيته في النفوس التي تُقرّ بالإيمان باسمه.

لقد فتح بولس قلبه لهم. فيقول: "لأَنَّهُ أَيَّ شُكْرٍ نَسْتَطِيعُ أَنْ نُعَوِّضَ إِلَى اللهِ مِنْ جِهَتِكُمْ عَنْ كُلِّ الْفَرَحِ الَّذِي نَفْرَحُ بِهِ مِنْ أَجْلِكُمْ قُدَّامَ إِلهِنَا؟ طَالِبِينَ لَيْلاً وَنَهَاراً أَوْفَرَ طَلَبٍ أَنْ نَرَى وُجُوهَكُمْ، وَنُكَمِّلَ نَقَائِصَ إِيمَانِكُمْ". لم تكن الكرازة بالإنجيل مجرد حرفة أو مهنة عند بولس. لم يذهب من بلدة إلى بلدة عاقداً سلسلة اجتماعات، ويمرّ على المهتدين وينساهم. لقد كان يحملهم في قلبه وكان يرجو دائماً أن يعود إليهم ليعطيهم المزيد من التعليم فيما يخص الإيمان ويقودهم أكثر في سبل المسيح؛ وكان يتذكرهم في صلاته ليلاً ونهاراً، لكي يستمر في عيش إرادة الله ويتعلم أن يسلك بإخلاص الحقيقة المكشوفة لهم.

الآيات ١١ و١٣ تعبّر عن رغبته الصادقة العميقة نحو أولئك المسيحيين الجدد. وإني على يقين أن هذه الكلمات يجب أن يُنظر إليها كصلاة لكل مسيحي من الآن وإلى نهاية هذا الدهر التدبيري؛ أقصد: "وَاللهُ نَفْسُهُ أَبُونَا وَرَبُّنَا يَسُوعُ الْمَسِيحُ يَهْدِي طَرِيقَنَا إِلَيْكُمْ. وَالرَّبُّ يُنْمِيكُمْ وَيَزِيدُكُمْ فِي الْمَحَبَّةِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ وَلِلْجَمِيعِ، كَمَا نَحْنُ أَيْضاً لَكُمْ، لِكَيْ يُثَبِّتَ قُلُوبَكُمْ بِلاَ لَوْمٍ فِي الْقَدَاسَةِ، أَمَامَ اللهِ أَبِينَا". متى؟ هل

سنصل أبداً إلى تلك المكانة هنا على الأرض؟ لا يقول الرسول أننا سنفعل؛ بل حتى لا يقترح ذلك. طالما أننا هنا على الأرض ستكون هناك مستويات أعلى لنرتقي إليها. وأعماق عميقة نغوص إليها؛ ستكون هناك دائماً خطايا نحتاج أن ننتصر عليها. لكنها إرادة الله أننا بالصلاة نتقدم على الدوام هنا على الأرض إلى أن نقف أخيراً أمام ربنا المبارك عند عرش الدينونة عندما سنكون "بِلاَ لَوْمٍ فِي الْقَدَاسَةِ، أَمَامَ اللهِ أَبِينَا فِي مَجِيءِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَعَ جَمِيعِ قِدِّيسِيهِ".

لقد لاحظنا للتو أن المجيء الثاني للرب يُشار إليه من كل جانب في كل أصحاح من هذه الرسالة. ففي الأصحاح الأول يخبرنا كيف تحولوا عن الأصنام إلى الله لكي يخدموا الله الحقيقي والحي ويترقبوا مجيء ابنه من السماء. لقد كان هذا موقفهم اليومي؛ كانوا يعيشون في توقٍ مستمر لعودة الرب يسوع المسيح من السماء، وذاك هو ما ينبغي أن يكون موقفنا نحن أيضاً. عندما ننهض في الصباح، علينا أن نقول: "إن الرب يسوع قد يرجع قبل حلول هذا الليل"؛ وعندما نسلّم ذواتنا إلى الله قبل أن نأوي إلى الفراش يجب أن نذكّر أنفسنا: "قبل أن يأتي الصباح قد أسمع صوته وأرى وجهه". يجب أن يكون هذا موقف كل مسيحي: ينتظر أبداً الابن من السماء. في الأصحاح الثاني نجد أن كل هؤلاء الذين نربحهم إلى المسيح سيكونون قمة وإكليل فرحنا عندما يعود الرب لينادي قديسيه ليكون معهم. وعند عودته سيتربع على المقدس، والمؤمنون (حيث لن يكون هناك غير مخلصين) سيقفون أمام كرسي الدينونة ذاك؛ وستتجلى وتتضح كل أعمالنا. فكل ما كان من الله– كل ما كان نتيجة عمل الروح القدس في المؤمن ومن خلاله، كل ما كان متفقاً مع إرادة الله سينال مكافأته. والمكافأة تصوّر لنا كإكليل: إكليل الحياة لأولئك الذين تألموا لأجل المسيح؛ إكليل البر للذين غذّوا حملان وغنم قطيعه؛ الإكليل الذي في السباق المسيحي؛ وكما ذُكر هنا، إكليل البهجة لأولئك الذين يربحون النفوس. هؤلاء المؤمنون التسالونيكيون سيضعون إكليل البهجة على بولس عندما ينال هو نفسه مكافأته. سيرى مجتمعاً هناك ذلك الحشد المكون من كل الذين قادهم إلى المسيح. وعندها سيكونون راسخين ثابتين وبلا لوم بقداسة أمام الله.

إلى أن يأتي ذلك اليوم العظيم علينا أن نثابر في السعي. علينا أن نتخلى عن كل خطيئة نعرفها، وننقي حياتنا من كل إثم. إن قال أحد: "لقد أحرزتُ للتو قداسة كاملة"، فإنك تعرف بأنه إنما يخدع نفسه وحسب، كما يقول الكتاب المقدس: "إِنْ قُلْنَا إِنَّنَا لَمْ نُخْطِئْ نَجْعَلْهُ كَاذِباً، وَكَلِمَتُهُ لَيْسَتْ فِينَا" (١ يوحنا ١: ١٠). سنحقق القداسة فقط عندما نلتقي بمخلصنا ونحدق في وجهه، وفي تلك اللحظة المجيدة نصبح مثله؛ إذ سنراه كما هو.

الخطبة الرابعة

اختطاف الكنيسة

هذا الأصحاح الرابع يتألف من قسمين: الأول هو عبارة عن مجموعة نصائح، وأما القسم الثاني فيتناول موضوع المجيء الثاني لربنا من أجل كنيسته. دعونا نتأمل في القسم الأول:

"فَمِنْ ثَمَّ أَيُّهَا الإِخْوَةُ نَسْأَلُكُمْ وَنَطْلُبُ إِلَيْكُمْ فِي الرَّبِّ يَسُوعَ، أَنَّكُمْ كَمَا تَسَلَّمْتُمْ مِنَّا كَيْفَ يَجِبُ أَنْ تَسْلُكُوا وَتُرْضُوا اللهَ، تَزْدَادُونَ أَكْثَرَ. لأَنَّكُمْ تَعْلَمُونَ أَيَّةَ وَصَايَا أَعْطَيْنَاكُمْ بِالرَّبِّ يَسُوعَ. لأَنَّ هَذِهِ هِيَ إِرَادَةُ اللهِ: قَدَاسَتُكُمْ. أَنْ تَمْتَنِعُوا عَنِ الزِّنَا، أَنْ يَعْرِفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ أَنْ يَقْتَنِيَ إِنَاءَهُ بِقَدَاسَةٍ وَكَرَامَةٍ، لاَ فِي هَوَى شَهْوَةٍ كَالأُمَمِ الَّذِينَ لاَ يَعْرِفُونَ اللهَ. أَنْ لاَ يَتَطَاوَلَ أَحَدٌ وَيَطْمَعَ عَلَى أَخِيهِ فِي هَذَا الأَمْرِ، لأَنَّ الرَّبَّ مُنْتَقِمٌ لِهَذِهِ كُلِّهَا كَمَا قُلْنَا لَكُمْ قَبْلاً وَشَهِدْنَا. لأَنَّ اللهَ لَمْ يَدْعُنَا لِلنَّجَاسَةِ بَلْ فِي الْقَدَاسَةِ. إِذاً مَنْ يَرْذُلُ لاَ يَرْذُلُ إِنْسَاناً، بَلِ اللهَ الَّذِي أَعْطَانَا أَيْضاً رُوحَهُ الْقُدُّوسَ. وَأَمَّا الْمَحَبَّةُ الأَخَوِيَّةُ فَلاَ حَاجَةَ لَكُمْ أَنْ أَكْتُبَ إِلَيْكُمْ عَنْهَا، لأَنَّكُمْ أَنْفُسَكُمْ مُتَعَلِّمُونَ مِنَ اللهِ أَنْ يُحِبَّ بَعْضُكُمْ بَعْضاً. فَإِنَّكُمْ تَفْعَلُونَ ذَلِكَ أَيْضاً لِجَمِيعِ الإِخْوَةِ الَّذِينَ فِي مَكِدُونِيَّةَ كُلِّهَا. وَإِنَّمَا أَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنْ تَزْدَادُوا أَكْثَرَ، وَأَنْ تَحْرِصُوا عَلَى أَنْ تَكُونُوا هَادِئِينَ، وَتُمَارِسُوا أُمُورَكُمُ الْخَاصَّةَ، وَتَشْتَغِلُوا بِأَيْدِيكُمْ أَنْتُمْ كَمَا أَوْصَيْنَاكُمْ"- (١ تسالونيكي ٤: ١- ١٢).

في هذا المقطع يحدد الرسول شكل السلوك الذي يرضي الله. لاحظ الآية الافتتاحية: "فَمِنْ ثَمَّ أَيُّهَا الإِخْوَةُ نَسْأَلُكُمْ وَنَطْلُبُ إِلَيْكُمْ فِي الرَّبِّ يَسُوعَ، أَنَّكُمْ كَمَا تَسَلَّمْتُمْ مِنَّا كَيْفَ يَجِبُ أَنْ تَسْلُكُوا وَتُرْضُوا اللهَ، تَزْدَادُونَ أَكْثَرَ". خلال خدمته بينهم، كان بولس حريصاً على أن يُسهب في الجانب العملي من المسيحية. نكون أحياناً عرضةً لتجاهل ذلك. ونصبح مأخوذين بالجانب العقائدي لدرجة أنّنا لا نؤكّد بشكل كافٍ على ناحية ما يجب أن نفعله كمسؤوليّة متوجبة علينا كمؤمنين. إن كلا خطّي الحقيقة مهمّين. يوجد هنا تحذيرٌ خاصٌ ضدّ خطايا النّجاسة. لقد كان الفسوق شائعاً بين الوثنيّين لدرجة أنّ المسيحيّين أيضاً كانوا عُرضة لأن ينظروا إليها بلا مبالاة، أو حتى بعين الرّضا. لا بد أنكم تذكرون ما كتبه أحد شعرائنا:

"الرذيلةُ هي مسخٌ ذو منظرٍ مرعب،

ستكرهها عندما تراها؛

ولكن عندما تراها كثيراً تصبح مألوفة لديك،

فتحتملها في البداية، ثم لا تلبث أن تشفق عليها، وأخيراً تقتبلها"

وسط الشعوب الوثنية، كان أكثر أنواع الفسق رداءة يرتبط حتى بعبادة آلهتهم الزّائفة. أمّا إلهنا فهو إلهٌ قدوسٌ بشكلٍ مطلقٍ، ونحن الذين نعرفه مدعوّون لأن نكون يقظين لكي نتحاشى كل ميلٍ نحو

النجاسة. فكما يقول القديس بولس: "هَذِهِ هِيَ إِرَادَةُ اللهِ: قَدَاسَتُكُمْ. أَنْ تَمْتَنِعُوا عَنِ الزِّنَا". غالباً ما نجد هذه الآية مُقتبَسة بشكلٍ جزئي، خاصّةً من قِبَلِ أولئك الذين يسيئون فهم معنى القداسة؛ إنهم يفكرون بها وكأنها عملُ النّعمة في النفسِ يتبع التبرير (تحصيل حاصل). إذْ يبنون على منطق زائف، فإنهم يحاولون أن يجدوا تصديقاً كتابياً بقراءة الآية على النحو: "هذه إرادة الله، حتى قداستكم". ولكن الرسول يتحدث هنا عن إرادة الله التي يجب على المؤمنين أن يسلكوا فيها بعيداً عن كل ما هو فاسدٌ ولا أخلاقي، وبعيداً عن الفسقِ والدّعارة والإباحيّة التي كانت تُميِّز الكثيرين منهم عندما كانوا غير مخلَّصين بعد. إن إرادة الله أن يسلك المؤمنون في النقاوة؛ أن ينظروا إلى الجسد على أنه مكرّسٌ له (لله): "أَنْ يَعْرِفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ أَنْ يَقْتَنِيَ إِنَاءَهُ بِقَدَاسَةٍ وَكَرَامَةٍ". لعلّنا نقول: "حسناً، إنّنا نعيش في أرض متحضّرة حيثُ تعلّم النّاس الفرق بين الحياة الطّاهرة والنّجسة؛ فلسنا في حاجة إلى هكذا تحريم". ولكن بعض الإطّلاع على الأحوال داخل وخارج الكنيسة المعترفة سيجعلنا نؤكد على أهميّة التّحذير المُعطَى هنا. هناك دائماً الإغراء بخفض المعايير المسيحية بما يتعلق بالأشياء غير الأخلاقية والفاسدة. نحتاج لأن نتذكر دائماً أهمية أن نحيا حياةً نقيّةً.

من غير الممكن أن نُخطئ على تلك الطريقة التي يكتب عنها بولس دون أن نُضلّ الآخرين؛ لا يمكنك أن تفعل ذلك. هذه خطايا لا يمكنك أن ترتكبها لوحدك؛ فثمّةَ آخرون يتأذّون بهكذا أفعال فاحشة. لذلك فإن الرسول يحذر هؤلاء التسالونيكيين "أَنْ لاَ يَتَطَاوَلَ أَحَدٌ وَيَطْمَعَ عَلَى أَخِيهِ فِي هَذَا الأَمْرِ، لأَنَّ الرَّبَّ مُنْتَقِمٌ لِهَذِهِ كُلِّهَا كَمَا قُلْنَا لَكُمْ قَبْلاً وَشَهِدْنَا. لأَنَّ اللهَ لَمْ يَدْعُنَا لِلنَّجَاسَةِ بَلْ فِي الْقَدَاسَةِ". إن جسد المؤمن هو هيكل للروح القدس، ويجب أن يكرّس لمجد ربنا المبارك. إن ازدرى الناس بهكذا تحذيرات، فإنهم يزدرون ليس بالإنسان بل بالله، الذي أعطانا روحه.

"أَمَّا الْمَحَبَّةُ الأَخَوِيَّةُ فَلاَ حَاجَةَ لَكُمْ أَنْ أَكْتُبَ إِلَيْكُمْ عَنْهَا، لأَنَّكُمْ أَنْفُسَكُمْ مُتَعَلِّمُونَ مِنَ اللهِ أَنْ يُحِبَّ بَعْضُكُمْ بَعْضاً". المحبّة هي تَجلٍّ لما تعطيه الطبيعة الجديدة لكلّ الذين يُولَدون من الله. لقد تبدّت عند أولئك المهتدين الجدد بطريقة مميّزة وعلى درجة كبيرة. "إِنَّكُمْ تَفْعَلُونَ ذَلِكَ أَيْضاً لِجَمِيعِ الإِخْوَةِ الَّذِينَ فِي مَكِدُونِيَّةَ كُلِّهَا. وَإِنَّمَا أَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنْ تَزْدَادُوا أَكْثَرَ". وفي هذه كما في كل نعمة أخرى يجب أن يكون هناك تقدُّمٌ متواصلٌ.

بعد ذلك لدينا عبارة عملية جداً إذ يناشدهم: "أَنْ تَحْرِصُوا عَلَى أَنْ تَكُونُوا هَادِئِينَ، وَتُمَارِسُوا أُمُورَكُمُ الْخَاصَّةَ". إن الكلمة المترجَمة بـ "يحرص" تعني أن نكون "توّاقين". علينا أن نطمح لأن نفعل أمورنا الخاصّة: أي نَنْكَبّ على أمورنا الخاصة. وهناك كثيرون يبدو لديهم طموحٌ لإعاقة عمل أيِّ أحدٍ آخر إلا عملهم أنفسهم. وهذا ما يؤدي دائماً إلى نزاعٍ وشقاق. ويستأنف بولس كلامه فيطلب منهم أن "تَشْتَغِلُوا بِأَيْدِيكُمْ أَنْتُمْ كَمَا أَوْصَيْنَاكُمْ، لِكَيْ تَسْلُكُوا بِلِيَاقَةٍ عِنْدَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَارِجٍ، وَلاَ تَكُونَ لَكُمْ حَاجَةٌ إِلَى أَحَدٍ". بمعنىً آخر، على المسيحيّ أن لا يكون متّكلاً على الآخرين، بل أن يضمن رزقه وسُبُلَ عيشه بكل وسيلة شريفة ممكنة؛ عليه أن يعيل نفسه بنفسه، لا أن ينتظر من الإخوة أن يساندوه ويؤازروه ويعيلونه وهو عطّالٌ بطّالٌ.

بعد هذه التّحذيرات، يشرع بولس بطرح مسألة كانت تزعج هؤلاء المسيحيّين الجُدد. فبعضٌ من جماعتهم كانوا قد ماتوا منذ أن كان قد تركهم: فماذا عن أولئك الذين رحلوا قبل أن يأتي المسيح ثانيةً؟ كان تيموثاوس قد أعلم بولس بأن التسالونيكيّين كانوا قلقين بخصوص هذه المسألة. عندما كان بولس معهم أخبرهم بأنّ يسوع كان آتياً من جديد لينشئ ملكوته هنا على الأرض، فقفزوا إلى الاستنتاج بأن أولئك الذين ماتوا قبل عودة المسيح سوف لن يشاركوا في ملكوته، بل إنّ الأحياءَ فقط عند عودته هم الذين سيرحّبونَ به ويشاركونَ فيه. فيكتب بولس هذه الكلمات ليصوّبَ رأيهم ويعلّمهم:

"ثُمَّ لاَ أُرِيدُ أَنْ تَجْهَلُوا أَيُّهَا الإِخْوَةُ مِنْ جِهَةِ الرَّاقِدِينَ، لِكَيْ لاَ تَحْزَنُوا كَالْبَاقِينَ الَّذِينَ لاَ رَجَاءَ لَهُمْ. لأَنَّهُ إِنْ كُنَّا نُؤْمِنُ أَنَّ يَسُوعَ مَاتَ وَقَامَ، فَكَذَلِكَ الرَّاقِدُونَ بِيَسُوعَ سَيُحْضِرُهُمُ اللهُ أَيْضاً مَعَهُ. فَإِنَّنَا نَقُولُ لَكُمْ هَذَا بِكَلِمَةِ الرَّبِّ: إِنَّنَا نَحْنُ الأَحْيَاءَ الْبَاقِينَ إِلَى مَجِيءِ الرَّبِّ لاَ نَسْبِقُ الرَّاقِدِينَ. لأَنَّ الرَّبَّ نَفْسَهُ بِهُتَافٍ، بِصَوْتِ رَئِيسِ مَلاَئِكَةٍ، وَبُوقِ اللهِ سَوْفَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَالأَمْوَاتُ فِي الْمَسِيحِ سَيَقُومُونَ أَوَّلاً. ثُمَّ نَحْنُ الأَحْيَاءَ الْبَاقِينَ سَنُخْطَفُ جَمِيعاً مَعَهُمْ فِي السُّحُبِ لِمُلاَقَاةِ الرَّبِّ فِي الْهَوَاءِ، وَهَكَذَا نَكُونُ كُلَّ حِينٍ مَعَ الرَّبِّ. لِذَلِكَ عَزُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضاً بِهَذَا الْكَلاَمِ" (الآيات ١٣– ١٨).

لاحظوا أن الرّسول بولس يعلمنا هنا عن رؤيا جديدة كان قد كَشف له الربُّ عنها. كانوا يعرفون أنّه عندما يعود المسيح ليحكم كملك، فإنّ أولئك الذين يكونون مستعدّين لاستقباله، سوف يدخلون معه إلى ملكوته، ولكنّ الأمر الذي أزعجهم هو هذا: إنّ أولئك الّذين ماتوا ما عادوا في العالم، فكيف سيملكون معه؟ لقد كانوا يرتقبون عودة المسيح إلى الأرض كما وعدهم، وقد آمنوا بكلمته وتوقعوا عودته لِيُقيْمَ ملكوته، ولكن ماذا عن أولئك الذين ماتوا قَبْلَ مجيئه الثاني؟ يقول بولس: "ثُمَّ لاَ أُرِيدُ أَنْ تَجْهَلُوا أَيُّهَا الإِخْوَةُ مِنْ جِهَةِ الرَّاقِدِينَ". عندما يَستخدم بولس التعبير "راقدين" فإنّه يعني "أمواتاً". وعندما يتحدّث عن يسوع فإنه يقول "مات"؛ بينما عندما يتحدّث عن المؤمنين فإنه يقول "راقدين". لقد مات المسيح؛ ومضى إلى الموت وكل تَبِعَاته عندما أخذ مكاننا في الدّينونة على الصّليب، وأمّا الآن فإنّنا نحن الذين نؤمن به سوف لن نَرَ الموت. إنْ دخلْنا في عالم ذلك الذي نسمّيه الموت، فإنّ أجسادنا ستكون راقدة إلى أن يعود الربّ يسوع. إنّ الرّوح تغادر الجسد وتمضي لتكون مع المسيح: "نَتَغَرَّبَ عَنِ الْجَسَدِ وَنَسْتَوْطِنَ عِنْدَ الرَّبِّ" (٢ كورنثوس ٥: ٨). مرات عديدة في هذا المقطع يستخدمُ بولس العبارة "يرقد" فيما يخص المؤمنين الذين ماتوا. "لاَ أُرِيدُ أَنْ تَجْهَلُوا أَيُّهَا الإِخْوَةُ مِنْ جِهَةِ الرَّاقِدِينَ، لِكَيْ لاَ تَحْزَنُوا كَالْبَاقِينَ الَّذِينَ لاَ رَجَاءَ لَهُمْ". إنّه لا يُوَبِّخُ المؤمنين على حُزنهم عندما يفقدون من يحبُّونهم في المسيح، ولكن علينا ألا نحزن مثل الآخرين الذين لن يكون لديهم لُمٌّ شملٍ عند مجيء ربنا يسوع المسيح. "لأَنَّهُ إِنْ كُنَّا نُؤْمِنُ أَنَّ يَسُوعَ مَاتَ وَقَامَ"– ونحن نؤمن بذلك فعلاً؛ ولسنا مسيحيين إن لم نفعل. "إِنَّنِي سَلَّمْتُ إِلَيْكُمْ فِي الأَوَّلِ مَا قَبِلْتُهُ أَنَا أَيْضاً: أَنَّ الْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا حَسَبَ الْكُتُبِ، وَأَنَّهُ دُفِنَ وَأَنَّهُ قَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ حَسَبَ الْكُتُبِ" (١ كو ١٥: ٣، ٤). وفي (رومية ٤: ٢٥) نقرأ: "الَّذِي أُسْلِمَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا وَأُقِيمَ لأَجْلِ تَبْرِيرِنَا". إنّ جسد يسوع المسيح قام من القبر: وبذلك الجسد صعد إلى السَّماء؛ وبذلك الجسد أيضاً يتربَّع الآن على عرشِ الله. إنّنا نؤمن بأنّه قد مات، وقام ثانية، وصعد إلى السّماء. "لأَنَّكَ إِنِ اعْتَرَفْتَ

بِفَمِكَ بِالرَّبِّ يَسُوعَ وَآمَنْتَ بِقَلْبِكَ أَنَّ اللهَ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ خَلَصْتَ. لأَنَّ الْقَلْبَ يُؤْمَنُ بِهِ لِلْبِرِّ وَالْفَمَ يُعْتَرَفُ بِهِ لِلْخَلاَصِ" (رومية ١٠: ٩، ١٠)."لأَنَّهُ إِنْ كُنَّا نُؤْمِنُ أَنَّ يَسُوعَ مَاتَ وَقَامَ، فَكَذَلِكَ الرَّاقِدُونَ بِيَسُوعَ سَيُحْضِرُهُمُ اللهُ أَيْضاً مَعَهُ". أو، وبترجمة أفضل، "أولئك الذين رقدوا مع المسيح سيُحضرهم الله معه". إنّ الربَّ المبارك نفسه هو الذي يأخذ قدِّيسيْه المتعَبين المنهَكين ويجعلهم يرقدون إلى أن تأتي صبيحة تلك القيامة المجيدة عندما سينهضون لدى سماع صوته. وعندها سيحضرهم الله معه. عمّا يتحدَّث؟ عندما سيعود الربُّ يسوع المسيح ليؤسّسَ ملكوته، فإنّه سَيأتي مع جميع قدّيسيه. أنّى له أن يفعل ذلك إن كان البعض في السماء والبعض على الأرض؟ هذا ما يوضحه بولس الرّسول. فعندما يأتي "المسيح" فإنه سيُقيم الموتى ويبدّل الأحياء، وسيُختَطَفُونَ معاً لملاقاته في السّحاب: "لِمُلاَقَاةِ الرَّبِّ فِي الْهَوَاءِ". ثم سيحضرهم الله مع الرب يسوع عندما يترل في قوة ومجد. "فَإِنَّنَا نَقُولُ لَكُمْ هَذَا بِكَلِمَةِ الرَّبِّ (كانت هذه رؤيا جديدة): إِنَّنَا نَحْنُ الأَحْيَاءَ الْبَاقِينَ إِلَى مَجِيءِ الرَّبِّ لاَ نَسْبِقُ الرَّاقِدِينَ".

لا أجد ولا كلمة واحدة، في كلّ الأناجيل الإزائيَّة[6] الثّلاثة– متّى، مرقس، ولوقا– تحكي عن هذا الجانب من مجيء الربِّ إلى قدّيسيه. أينما نجد عبارات للربّ نفسه تتعلّق بمجيئه الثّاني في الأناجيل السِّينابتية، فإنها تعني مجيء ابن الله مع قدِّيسيه إلى الأرض لِيُؤَسِّس ملكوته الوشيك. يخبرنا القدِّيس يوحنا أنَّه قَبْلَ مُضيِّ الرّبّ، فقد أعطى كلمة موجزة للرُّسل في العلية تتعلَّق بهذا الموضوع الذي ندرسه هنا. لقد قال: "أَنَا أَمْضِي لِأُعِدَّ لَكُمْ مَكَاناً. وَإِنْ مَضَيْتُ وَأَعْدَدْتُ لَكُمْ مَكَاناً آتِي أَيْضاً وَآخُذُكُمْ إِلَيَّ حَتَّى حَيْثُ أَكُونُ أَنَا تَكُونُونَ أَنْتُمْ أَيْضاً" (يوحنا ١٤: ٣). لقد كانوا يعرفون أنه سيعود من جديد لِيُؤسّس ملكوته؛ لقد كان قد أخبرهم بذلك من قبل، ولكنّه الآن أعطاهم معلومات وكأنّها سرٌّ حفظه في قلبه حتّى هذا الوقت. لقد قال: "سآتي أَيْضاً وَآخُذُكُمْ إِلَيَّ حَتَّى حَيْثُ أَكُونُ أَنَا تَكُونُونَ أَنْتُمْ أَيْضاً" (يوحنا ١٤: ٣).هذا المظهر من مجيئه هو الذي كُشِفَ بالوحي للرّسول بولس ومن خلاله إلينا: "ثُمَّ نَحْنُ الأَحْيَاءَ الْبَاقِينَ (وسيكون هناك جيل من المسيحيين يعيشون على الأرض في أجسادهم الطبيعية عندما يأتي الرب ثانيةً) سَنُخْطَفُ جَمِيعاً مَعَهُمْ فِي السُّحُبِ لِمُلاَقَاةِ الرَّبِّ فِي الْهَوَاءِ". ليس من سبيل لمعرفة الوقت الذي سيحدث فيه هذا الحدث المبارك. قد يَسرُّه أن يُرْجِئَ قدومه إلى أن نكون قد غادرنا هذا العالم، ولكن علينا، أن نحيا ونحن نتوقّع كلّ يوم عودتهُ. إِنَّنَا نَحْنُ الأَحْيَاءَ الْبَاقِينَ إِلَى مَجِيءِ الرَّبِّ لاَ نَمنعُ الرَّاقِدِينَ". إن كلمة "يمنع" قد تغير معناها تماماً خلال السنوات الثلاثمائة الأخيرة أو أكثر. وعندما تُرجم الكتاب المقدس فإن هذه الكلمة صارت "نسبق". وتذكرون أن داود، عندما كان يتلو صلاة الصباح في المزمور ١١٩: ١٤٧، فإنه قال: "مَنَعْتُ الصُّبْحَ وَصَرَخْتُ". هو لم يكن يقصد القول أنه منع الشمسَ من الشروق بل أنه كان قد نهض وشرع في الصلاة قبل بزوغ الفجر. إن الكلمة الأصلية التي تعني "يمنع" صارت الآن تعني "يعيق". إن ما يقوله الرسول بولس هو: "إِنَّنَا نَحْنُ الأَحْيَاءَ الْبَاقِينَ إِلَى مَجِيءِ الرَّبِّ لاَ نَسْبِقُ الرَّاقِدِينَ". فنحن الأحياء لن ندخل قبلهم إلى الملكوت ولو بدقيقة واحدة؛ بل إننا سندخله معاً جميعاً. "لأَنَّ الرَّبَّ نَفْسَهُ بِهُتَافٍ،

---

[6]- الأناجيل الإزائية (السينابتية): (Synoptic Gospels) هي إنجيل متى ومرقس ولوقا، وتُسمّى هكذا لأن لها من أوجه التشابه ما يحمل على عرضها في أعمدة إزاء بعضها البعض ليتسنّى قراءة النصوص المتماثلة بنظرة واحدة. [فريق الترجمة].

بِصَوْتِ رَئِيسِ مَلاَئِكَةٍ، وَبُوقِ اللهِ سَوْفَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ". كم أحبُّ هذه الكلمات– "الرَّبَّ نَفْسَهُ". إنه من أنتظر. قال الملائكة: "إِنَّ يَسُوعَ هَذَا الَّذِي ارْتَفَعَ عَنْكُمْ إِلَى السَّمَاءِ سَيَأْتِي هَكَذَا كَمَا رَأَيْتُمُوهُ مُنْطَلِقاً إِلَى السَّمَاءِ" (أعمال ١: ١١). إنه الرب نفسه هو الذي ننظر إليه. هو نفسه "بِهُتَافٍ، بِصَوْتِ رَئِيسِ مَلاَئِكَةٍ، وَبُوقِ اللهِ سَوْفَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ". رئيس الملائكة في العهد القديم مرتبط بالشعب اليهودي بطريقة خاصة جداً: "وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتِ يَقُومُ مِيخَائِيلُ الرَّئِيسُ الْعَظِيمُ الْقَائِمُ لِبَنِي شَعْبِكَ وَيَكُونُ زَمَانُ ضِيقٍ لَمْ يَكُنْ مُنْذُ كَانَتْ أُمَّةٌ إِلَى ذَلِكَ الْوَقْتِ. وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتِ يُنَجَّى شَعْبُكَ كُلُّ مَنْ يُوجَدُ مَكْتُوباً فِي السِّفْرِ (دانيال ١٢: ١)". عندما يأتي الربُّ يسوع تَحقيقاً لوعوده هذه، فليس قدّيسوا هذا الدّهر وحسب، بل أيضاً القدّيسونَ من كلّ العصور الماضية سيكونون موجودين. وهكذا فإنَّ صوت ميخائيل رئيس الملائكة سيُسمَع في نفس الوقت الذي يُطلق فيه الربُّ الهُتافَ الذي يوقظ الجميع. عندما ينطلق صوت بوق الله، فعندئذٍ "الأَمْوَاتُ فِي الْمَسِيحِ سَيَقُومُونَ أَوَّلاً". يمكن ترجمة ذلك حرفيّاً بالقول: "الأموات بالمسيح سينهضون أوّلاً". إنَّ الملايين ذوي الأجساد الراقدة في الأرض ستَسمع صوته. لَعازر سمعه عندما كان في القبر، فبُعثَ حيَّاً في الحال. هكذا كلّ المخَلَّصين الذين ماتوا سينهضون، ويعودون إلى الحياة، في القيامة الأولى. ثُمَّ نَحْنُ الأَحْيَاءَ الْبَاقِينَ فِي الجسد "سَنُخْطَفُ جَمِيعاً مَعَهُمْ فِي السُّحُبِ لِمُلاَقَاةِ الرَّبِّ فِي الْهَوَاءِ". إنّ "ال التّعريف" في بداية كلمة "السُّحب" تجعل المعنى غامضاً مبهماً. سوف نُخْتَطَفُ في السّحب. لا أعتقد أنّ هذا يعني بأننا سنصعد إلى تلك السّحب النّاعمة كالصّوف الّتي فوق الأرض. حتّى طيّارينا يستطيعون أن يحلّقوا أبعد من ذلك. ولكنّنا سنصعد في سحب؛ وسيكون هناك عدة ملايين منَّا. هذا ما ندعوه اختطافُ الكنيسة، عندما سنُختَطَفُ في جَذَلٍ لملاقاة الربّ في الهواء. إنّ كلمة "مُلاقاة" تعني حقّاً أن يذهب المرءُ ليُقابِل شخصاً لكي يعود معه، كما في أعمال ٢٨: ١٥. سوف نقف أمام كرسيِّ دينونته بأجسادنا الممجّدة لنتلقّى الجزاء بحسب الأعمال التي عملناها في هذه الحياة. ومن ثمَّ، وعندما ينزل ليأخذ ملكوته– كما في رؤيا ١٩: ١٤ (حيث يُرى برمز فارسٍ على حصانٍ أبيض) نقرأ: "وَالأَجْنَادُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ كَانُوا يَتْبَعُونَهُ عَلَى خَيْلٍ بِيضٍ". وهكذا سنأتي معه لنُشارك في مجْدِه في ذلك اليوم الانتصاريِّ. هذا هو رجاؤنا؛ هذا هو رجاءُ الكنيسة.

لاحظوا الكلمة "معاً". لقد كانت لنا شرِكَةٌ مع بعضنا هنا على الأرض؛ لقد كنّا نعمل معاً تحت سلطان ربِّنا، وعندما يعود سيختطفنا معاً لنُلاقي الربّ في الهواء. يسألُني النّاس أحياناً: "هل سَنَعرِف بعضنا البعض في السماء؟" أن نعرف بعضنا البعض! لماذا لا نكون قد عرفْنا بعضنا قبلاً حتّى نعرف بعضنا عندئذٍ؟ "هل سأُعْرَف عندها كما أنا معروفٌ أيضاً" (١كو ١٣: ١٢). سوف نُعرَفُ كما عَرَفَنَا الله.

"وهل سنكون أبداً مع الربّ؟" لعلَّك تتساءل "ما الّذي يأتي بعد ذلك؟" هناك أحداثٌ رائعةٌ ستَنْكَشف عَبر الأجيال والعصور القادمة، ولكن مهما يأتي فيما بعد سنكون دائماً مع الربّ. ومن هنا "لِنُعَزِّينَّ بعضنا بعضاً بهذه الكلمات".

هل تُعزِّيك هذه الكلمة؟ يجب أن يكون كذلك إن كنت تحيا من أجله. وإن لم تكن كذلك، فلـــن تجد لك فيها عزاءً.

الخطبة الخامسة

يوم الرب

"وَأَمَّا الأَزْمِنَةُ وَالأَوْقَاتُ فَلاَ حَاجَةَ لَكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنْ أَكْتُبَ إِلَيْكُمْ عَنْهَا، لأَنَّكُمْ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ بِالتَّحْقِيقِ أَنَّ يَوْمَ الرَّبِّ كَلِصٍّ فِي اللَّيْلِ هَكَذَا يَجِيءُ. لأَنَّهُ حِينَمَا يَقُولُونَ: «سَلاَمٌ وَأَمَانٌ» حِينَئِذٍ يُفَاجِئُهُمْ هَلاَكٌ بَغْتَةً، كَالْمَخَاضِ لِلْحُبْلَى، فَلاَ يَنْجُونَ. وَأَمَّا أَنْتُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ فَلَسْتُمْ فِي ظُلْمَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكُمْ ذَلِكَ الْيَوْمُ كَلِصٍّ. جَمِيعُكُمْ أَبْنَاءُ نُورٍ وَأَبْنَاءُ نَهَارٍ. لَسْنَا مِنْ لَيْلٍ وَلاَ ظُلْمَةٍ. فَلاَ نَنَمْ إِذاً كَالْبَاقِينَ، بَلْ لِنَسْهَرْ وَنَصْحُ، لأَنَّ الَّذِينَ يَنَامُونَ فَبِاللَّيْلِ يَنَامُونَ، وَالَّذِينَ يَسْكَرُونَ فَبِاللَّيْلِ يَسْكَرُونَ. وَأَمَّا نَحْنُ الَّذِينَ مِنْ نَهَارٍ، فَلْنَصْحُ لاَبِسِينَ دِرْعَ الإِيمَانِ وَالْمَحَبَّةِ، وَخُوذَةً هِيَ رَجَاءُ الْخَلاَصِ. لأَنَّ اللهَ لَمْ يَجْعَلْنَا لِلْغَضَبِ، بَلْ لاقْتِنَاءِ الْخَلاَصِ بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي مَاتَ لأَجْلِنَا، حَتَّى إِذَا سَهِرْنَا أَوْ نِمْنَا نَحْيَا جَمِيعاً مَعَهُ. لِذَلِكَ عَزُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضاً وَابْنُوا أَحَدُكُمُ الآخَرَ، كَمَا تَفْعَلُونَ أَيْضاً" (١ تسالونيكي ٥: ١– ١١).

لقد كُشفَت الحقيقة المتعلّقة بالاختطاف، الّتي ستحدث عندما ينهض ربنا المبارك عن عرش الآب ويترل في الهواء ويُطلق هتاف الإيقاع ذاك، ويقوم الأموات في المسيح أوّلاً؛ وبعدها فإنّنا نحن الأحياء والباقين سوف نتغيّر، وسوف نُختَطَف جميعاً معاً لملاقاته في الهواء– بعد ذلك ينتقل الرّسول بولس للحديث عن يوم الربّ.

بعد انتزاع القدّيسين ستأتي على هذا العالم أَحْلَك فترة على الإطلاق– تلك التي أُشير إليها في أماكن عديدة من العهد القديم على أنها "يوم الرب"؛ وأيضاً "وقت الشّدّة"، أو "الضّيق العظيم" كما يُسميها كلا العهدين القديم والجديد. وفيما يخص هذا اليوم يقول الكتاب: "وَأَمَّا الأَزْمِنَةُ وَالأَوْقَاتُ فَلاَ حَاجَةَ لَكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنْ أَكْتُبَ إِلَيْكُمْ عَنْهَا". فموضوع يوم الرب، إذاً، يشتمل عليه الحديث عن "الأَزْمِنَة وَالأَوْقَات". لعلّه يمكنني القول أنّ الأوقات والأزمنة– أي الأوقات والأزمنة النّبويّة– ليس لها علاقة برجاء عودة الرب من أجل كنيسته. إن الأوقات والأزمنة لها علاقة دائماً بالأحداث التي ستسبق وتبلغ ذروتها في مجيء الرب ليُؤسّس ملكوته هنا على الأرض. لطالما أدّت، وستؤدّي دائماً، إلى تشويش وارتباك، تلك المحاولات لحساب الوقت الذي سيعود فيه الرب لأجل خاصّته. إن الأوقات والأزمنة لا علاقة لها بهذا. ونجد هذا التعبير مرّتين في أماكن أخرى من الكتاب المقدس، فمرّة في سفر دانيال ومرة أخرى في سفر أعمال الرسل. في سفر دانيال، ٢: ١٩– ٢٢، نعلم أنه "حِينَئِذٍ كُشِفَ السِّرُّ لِدَانِيآلَ فِي رُؤْيَا اللَّيْلِ (كان هذا يتعلق بحلم نبوخذ نصّر). فَبَارَكَ دَانِيآلُ إِلَهَ السَّمَاوَاتِ. فَقَالَ دَانِيآلُ: لِيَكُنِ اسْمُ اللَّهِ مُبَارَكاً مِنَ الأَزَلِ وَإِلَى الأَبَدِ لأَنَّ لَهُ الْحِكْمَةَ وَالْجَبَرُوتَ. وَهُوَ يُغَيِّرُ الأَوْقَاتَ وَالأَزْمِنَةَ. يَعْزِلُ مُلُوكاً وَيُنَصِّبُ مُلُوكاً. يُعْطِي الْحُكَمَاءَ حِكْمَةً وَيُعَلِّمُ الْعَارِفِينَ فَهْماً. هُوَ يَكْشِفُ الْعَمَائِقَ وَالأَسْرَارَ. يَعْلَمُ مَا هُوَ فِي الظُّلْمَةِ وَعِنْدَهُ يَسْكُنُ النُّورُ". من الواضح أن الأوقات والأزمنة كانت لها علاقة بأمور الأرض. إن الله يغير الأوقات والأزمنة. إنْ قرّر أن يُلقي عقاباً على أمّة وتابت تلك الأمّة وعادت إلى الله، فإنّه سَيُرْجِئ عقابه، كما في حالة نينوى عندما أُمِر يونان بأن يذهب إلى نينوى ويُعلن بأن دينونة ستقع عليهم خلال أربعين

يوماً؛ ولكن أهل نينوى تابوا، فغيّر الله الأوقات والأزمنة، وتأجّل الدُّمار إلى حوالي قرنين. ثم جاء الحُكم القضائيّ أخيراً بسبب استمرار رفضهم لكلمة الرب. لقد تعامل الله بنفس الطريقة مع إسرائيل ويهوذا في مناسبات عديدة: فكان يُرجئ الدّينونة عند توبتهم.

في الأصحاح الأوّل من سفر أعمال الرسل سأل التلاميذ الرب: "يَا رَبُّ هَلْ فِي هَذَا الْوَقْتِ تَرُدُّ الْمُلْكَ إِلَى إِسْرَائِيلَ؟" كانوا يتحدثون عن الأوقات والأزمنة التي أخبر عنها الله في العهد القديم- ذلك الوقت عندما سيُرَد المُلك لإسرائيل؛ ولكن يسوع قال لتلاميذه "«لَيْسَ لَكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا الأَزْمِنَةَ وَالأَوْقَاتَ الَّتِي جَعَلَهَا الآبُ فِي سُلْطَانِهِ. لَكِنَّكُمْ سَتَنَالُونَ قُوَّةً مَتَى حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْكُمْ وَتَكُونُونَ لِي شُهُوداً فِي أُورُشَلِيمَ وَفِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ وَإِلَى أَقْصَى الأَرْضِ»" (أع ١: ٦- ٨). ما من شيء يمكن أن يكون أوضح من كلمات الرب. ليس لنا أن نعرف الأوقات والأزمنة. إن شأننا هو أن نكرز بالإنجيل؛ فنمضي من شعبٍ إلى شعب ومن أمةٍ إلى أمة إلى أن يسمع العالم برُمّته (ببشارة لإنجيل). ولذلك نجد هنا في الأصحاح الخامس من رسالة تسالونيكي الأولى، الرسول بولس يقول: "وَأَمَّا الأَزْمِنَةُ وَالأَوْقَاتُ فَلاَ حَاجَةَ لَكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنْ أَكْتُبَ إِلَيْكُمْ عَنْهَا، لأَنَّكُمْ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ بِالتَّحْقِيقِ أَنَّ يَوْمَ الرَّبِّ كَلِصٍّ فِي اللَّيْلِ هَكَذَا يَجِيءُ". لقد كان الرب قد تحدث لتوه عن تلك الأشياء. لقد عرفوا من تعليم بولس عندما كان معهم أنَّ يوم الرب سوف يأتي كلصٍّ في اللّيل. وتنبَّأ العهد القديم عن ذلك. ولكن يوم الرب مرتبط بالأزمنة والأوقات، ولذلك لا يمكن أن يحدث طالما أن كنيسة الله لا تزال في العالم.

إن تعبير "يوم الرب" يُشير إذاً، ليس كما افترض البعض إلى نزول الرب في الهواء ليرفع كنيسته، بل إلى إستعلان الربّ في مجد ظاهر ليُؤَسّس ملكوته. إنّه يرتبط أيضاً بالأحداث التي ستجري بعد اختطاف الكنيسة وقبل استعلان الرب في قضائه. دعونا نُلقي نظرة إلى بعض النّصوص الكتابيّة في العهد القديم التي توضّح ذلك. لقد اكتفيتُ باختيار أربعة نصوص أو خمسة:

لنبدأ أولاً بسفر عاموس، ٥: ١٨- ٢٠: "«وَيْلٌ لِلَّذِينَ يَشْتَهُونَ يَوْمَ الرَّبِّ. لِمَاذَا لَكُمْ يَوْمُ الرَّبِّ هُوَ ظَلاَمٌ لاَ نُورٌ؟ كَمَا إِذَا هَرَبَ إِنْسَانٌ مِنْ أَمَامِ الأَسَدِ فَصَادَفَهُ الدُّبُّ أَوْ دَخَلَ الْبَيْتَ وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى الْحَائِطِ فَلَدَغَتْهُ الْحَيَّةُ! أَلَيْسَ يَوْمُ الرَّبِّ ظَلاَماً لاَ نُوراً وَقَتَاماً وَلاَ نُورَ لَهُ؟". كانت هناك جماعة في إسرائيل يرجون أن يكون يوم الرب خطوة وشيكة ثم يكونون خارج مشاكلهم وصعوباتهم؛ إلا أن النّبي قال: "يَوْمُ الرَّبِّ هُوَ لكم ظَلاَمٌ لاَ نُورٌ". وكأنَّ الهروب من خطر ما، يعني فقط الدُّخول في خطرٍ أكبر؛ وكما تقول العرب "من تحت الدَّلْف إلى تحت المزراب". أو كما لو أن الإنسان "يهرب من أسد، فيَلقى ذئباً؛ أو يدخل إلى منزل، ويستند بيده إلى الجدار فتلسعه أفعى". سيكون زمن دينونة. فالله يتعامل مع العالم، بما فيهم إسرائيل المُرْتَد كما الأمميّين، بسبب الحماقة والخطيئة؛ وبهذا المعنى، سوف لن يكون ذلك اليوم مرغوباً عند أولئك الذين لا يزالون يعيشون في خطاياهم. إنّه يعني الدّينونة والضّيقة الشّديدة المؤلمة التي ستُصيب الشّعب الذي يكون آنذاك على قيد الحياة على الأرض في ذلك اليوم.

لننظر إلى نص كتابي آخر؛ صفنيا ١: ١٤– ١٨: "قَرِيبٌ يَوْمُ الرَّبِّ الْعَظِيمِ. قَرِيبٌ وَسَرِيعٌ جِدّاً. صَوْتُ يَوْمِ الرَّبِّ. يَصْرُخُ حِينَئِذٍ الْجَبَّارُ مُرّاً. ذَلِكَ الْيَوْمُ يَوْمُ سَخَطٍ. يَوْمُ ضِيقٍ وَشِدَّةٍ. يَوْمُ خَرَابٍ وَدَمَارٍ. يَوْمُ ظَلاَمٍ وَقَتَامٍ. يَوْمُ سَحَابٍ وَضَبَابٍ. يَوْمُ بُوقٍ وَهُتَافٍ عَلَى الْمُدُنِ الْمُحَصَّنَةِ وَعَلَى الشُّرُفِ الرَّفِيعَةِ. [وَأُضَايِقُ النَّاسَ فَيَمْشُونَ كَالْعُمْيِ، لأَنَّهُمْ أَخْطَأُوا إِلَى الرَّبِّ، فَيُسْفَحُ دَمُهُمْ كَالتُّرَابِ وَلَحْمُهُمْ كَالْجِلَّةِ]. لاَ فِضَّتُهُمْ وَلاَ ذَهَبُهُمْ يَسْتَطِيعُ إِنْقَاذَهُمْ فِي يَوْمِ غَضَبِ الرَّبِّ، بَلْ بِنَارِ غَيْرَتِهِ تُؤْكَلُ الأَرْضُ كُلُّهَا، لأَنَّهُ يَصْنَعُ فَنَاءً بَاغِتاً لِكُلِّ سُكَّانِ الأَرْضِ". إنها صورة كئيبة معتمة بالفعل توضح بالتَّفصيل الأحوال التي ستسود هنا على الأرض في يوم الربِّ ذاك.

ويدلي النبي يوئيل بشهادته، فنقرأ في (٢: ١– ٣): "اضْرِبُوا بِالْبُوقِ فِي صِهْيَوْنَ. صَوِّتُوا فِي جَبَلِ قُدْسِي. لِيَرْتَعِدْ جَمِيعُ سُكَّانِ الأَرْضِ لأَنَّ يَوْمَ الرَّبِّ قَادِمٌ لأَنَّهُ قَرِيبٌ. يَوْمُ ظَلاَمٍ وَقَتَامٍ. يَوْمُ غَيْمٍ وَضَبَابٍ مِثْلَ الْفَجْرِ مُمْتَدّاً عَلَى الْجِبَالِ. شَعْبٌ كَثِيرٌ وَقَوِيٌّ لَمْ يَكُنْ نَظِيرُهُ مُنْذُ الأَزَلِ وَلاَ يَكُونُ أَيْضاً بَعْدَهُ إِلَى سِنِي دَوْرٍ فَدَوْرٍ. قُدَّامَهُ نَارٌ تَأْكُلُ وَخَلْفَهُ لَهِيبٌ يُحْرِقُ. الأَرْضُ قُدَّامَهُ كَجَنَّةِ عَدْنٍ وَخَلْفَهُ قَفْرٌ خَرِبٌ وَلاَ تَكُونُ مِنْهُ نَجَاةٌ". يشير ربنا يسوع إلى هذا الوقت عندما يقول: "لأَنَّهُ يَكُونُ حِينَئِذٍ ضِيقٌ عَظِيمٌ لَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ مُنْذُ ابْتِدَاءِ الْعَالَمِ إِلَى الآنَ وَلَنْ يَكُونَ. وَلَوْ لَمْ تُقَصَّرْ تِلْكَ الأَيَّامُ لَمْ يَخْلُصْ جَسَدٌ. وَلَكِنْ لأَجْلِ الْمُخْتَارِينَ تُقَصَّرُ تِلْكَ الأَيَّامُ" (متى ٢٤: ٢١، ٢٢). يجب ألا تكون لدينا أية صعوبة في ذلك نظراً للأحداث الرهيبة التي جرت مؤخراً. منذ اكتشاف واستخدام القنبلة الذرية يمكننا أن نرى بسهولة أن هناك حرباً عالمية أخرى قد تؤدي بالنتيجة إلى هلاك كل ذي جسد. يقول الرب: "لَوْ لَمْ تُقَصَّرْ تِلْكَ الأَيَّامُ لَمْ يَخْلُصْ جَسَدٌ. وَلَكِنْ لأَجْلِ الْمُخْتَارِينَ تُقَصَّرُ تِلْكَ الأَيَّامُ". "في "المختارين" هنا إشارة إلى البقية التقية من إسرائيل ومن تلك الأمم الذين سيكونون في انتظار الرب في ذلك اليوم.

وننعطف إلى النبي إرميا ٣٠: ٧، ونقرأ: "آهِ! لأَنَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ عَظِيمٌ وَلَيْسَ مِثْلُهُ. وَهُوَ وَقْتُ ضِيقٍ عَلَى يَعْقُوبَ وَلَكِنَّهُ سَيُخَلَّصُ مِنْهُ". يجب أن نلاحظ في هذا المقطع أن "وَقْتُ ضِيقٍ عَلَى يَعْقُوبَ" أي على إسرائيل، "وَلَكِنَّهُ سَيُخَلَّصُ مِنْهُ". يُرينا الأنبياء أنه سيكون لدى الله على الأرض بقيةٌ من إسرائيل ستلتفت إلى الرب، وهو سيستخدمهم شهوداً له إلى العالم الأممي؛ وبالنتيجة سيكون كثيرون مستعدين للترحيب بالرب عندما ينزل ليأخذ ملكوته.

ثمة نص كتابي آخر يوضح لنا هذه الحقيقة نجده في ملاخي ٤: ١: "فَهُوَذَا يَأْتِي الْيَوْمُ الْمُتَّقِدُ كَالتَّنُّورِ وَكُلُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ وَكُلُّ فَاعِلِي الشَّرِّ يَكُونُونَ قَشّاً وَيُحْرِقُهُمُ الْيَوْمُ الآتِي قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ فَلاَ يُبْقِي لَهُمْ أَصْلاً وَلاَ فَرْعاً". أي عالم الأمميين الأشرار الآثمين واليهودية المرتدة. سيهلكون جميعاً في ذلك اليوم. يقول الرب لأولئك الذين يلتجئون إليه: "وَلَكُمْ أَيُّهَا الْمُتَّقُونَ اسْمِي تُشْرِقُ شَمْسُ الْبِرِّ وَالشِّفَاءُ فِي أَجْنِحَتِهَا فَتَخْرُجُونَ وَتَنْشَأُونَ كَعُجُولِ الصِّيرَةِ". يوم الرب هو ذلك الوقت الذي ينتهي به يوم النعمة والذي سينزل الله فيه على العالم دينونةً، وذلك اليوم سيأتي إلى الأرض كمثل لصٍّ في الليل.

أوّل حدث عظيم سَيُذهِل ويُفاجئ العالم، قبل يوم الغضب ذاك، سيكون اختفاء ملايين من الناس الذين عَرفوا الرب يسوع المسيح وأَحبّوه. ففي لحظة واحدة سَيكونون على الأرض: بعضهم يكون نائماً، بعضهم الآخر يتألّم في المشافي وأماكن أخرى، أو يَحتَملون الألم، والحزن، والأوجاع؛ آخرون سيكونون مُتَجمّعين معاً من أجل العِبَادة. ولكن في ثانية واحدة، بل في طرفة عين، هؤلاء المُفتَدون سيتبدّلون وسيختفون. وسيستيقظ العالم فيجد أنّهم قد ذهبوا.

أتذكّر أني قرأت قبل سنوات عن رجل قال أنه اعتاد أن يذهب ليوم في الشهر إلى مدينة معيَّنة، إلى مكان كان فيه مصانع فولاذ كبيرة. وهذه المصانع كانت تعمل بشكل مستمر متواصل، فتَدُقّ وتدقّ وتدق، وكان يتساءل كيف كان يمكن للنّاس أن يناموا هناك؛ ولكن السكان كانوا معتادين على تلك الضّجة حتى أنهم ما عادوا يتضايقون منها. أما هو فلم يكن لِيَستطيع أن ينام ولو لليلة واحدة في الشّهر هناك تلك الليلة التي كان يُمضيها في تلك البلدة. ثم حدث في إحدى المرات، وفي منتصف الليل، حدث شيء للطاقة الكهربائية، وفي لحظة واحدة توقّفت المصانع. وفجأةً استيقظت كلّ البلدة. لقد كانوا معتادين على تلك الضجّة حتى إنهم ما كانوا لِيَستطيعوا أن يناموا بدونها. حسناً، لقد سمع العالم الإنجيل هنا على الارض لمدة أجيال وقرون ولا يزالُ نائماً. ولكن يوماً ما ستَمضي كنيسة الله، وسيَصمد الإنجيل الذي يُكرَز به الآن. ثم سَيستيقظ العالم ليَجد أنّه قد دخل لِتَوِّه في يوم الربّ. يوم الربّ سيأتي كَلِصّ في اللّيل: "لأَنَّهُ حِينَمَا يَقُولُونَ: «سَلاَمٌ وَأَمَانٌ» حِينَئِذٍ يُفَاجِئُهُمْ هَلاَكٌ بَغْتَةً، كَالْمَخَاضِ لِلْحُبْلَى، فَلاَ يَنْجُونَ".

ثم يلتفت الرسول بولس ليعزي المؤمنين. فيقول: "وَأَمَّا أَنْتُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ فَلَسْتُمْ فِي ظُلْمَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكُمْ ذَلِكَ الْيَوْمُ كَلِصٍّ". بالنّسبة لأولئك الذين خَلُصوا، والذين ينتظرون مُتَرقّبين مجيء الرب، إنّ عودته لن تكون كمجيء اللصّ في منتصف الليل. "جَمِيعُكُمْ أَبْنَاءُ نُورٍ وَأَبْنَاءُ نَهَارٍ. لَسْنَا مِنْ لَيْلٍ وَلاَ ظُلْمَةٍ". لقد اعتدنا أن نكون أبناء الظُّلمة، ولكن الله أخرجنا من الظُّلمة إلى النّور، ولذلك فما عدنا أبناء الظلمة. إن العالم نائم؛ ولكن علينا أن نكون منتبهين، يقظين، وساعين أبداً لِنَخدم الرب يسوع، فننشر حقّه ونُعلم الآخرين به، ونسعى لِنُعدَّ الناس ليَستقبلوه عندما يعود. "فَلاَ نَنَمْ إِذاً كَالْبَاقِينَ، بَلْ لِنَسْهَرْ وَنَصْحُ، [٧]لأَنَّ الَّذِينَ يَنَامُونَ فَبِاللَّيْلِ يَنَامُونَ، وَالَّذِينَ يَسْكَرُونَ فَبِاللَّيْلِ يَسْكَرُونَ". ألا ليت المسيحيّين في كل مكان يستيقظون من سُباتهم ومن اللّامبالاة والعبث والطّيش، ويأتون إلى إدراك جدّية وخطورة الأوقات التي نعيش فيها! يا له من أمر جليل أن يكون المرء مسيحيّاً في عالم مثل هذا، نظراً إلى حقيقة أنّنا سرعان ما سنُقدِّم حساباً عن أفعالنا للديّان العظيم. وَأَمَّا نَحْنُ الَّذِينَ مِنْ نَهَارٍ، فَلْنَصْحُ لاَبِسِينَ دِرْعَ الإِيمَانِ وَالْمَحَبَّةِ، وَخُوذَةً هِيَ رَجَاءُ الْخَلاَصِ".

إنّ الإيمان والمحبّة هي لِتَقي قلوبنا، مُحصَّنة بالثّقة بالله، حتى ولو كان العالم يَنْجرف في هذا الزمان إلى الاضطراب والبلاء العظيم الذي نحن مُستعدون له. سوف لن نكون هنا لنُعاني من تَبعات يوم الغضب ذاك. فلدينا خُوْذَةً، ألا وهي رجاء الخلاص. إن خلاصنا النهائي هو الذي أمام بصرنا. "لأَنَّ اللهَ لَمْ يَجْعَلْنَا لِلْغَضَبِ". إن العالم ينجرف إلى هذا؛ ويوماً ما غضب الله سينهَمِر من السماء، وسيُلْقَى الشيطان إلى

الأرض بغضب شديد. وإن غضب الشيطان سوف يتجلّى في مقاومته لغضب الله. "لأَنَّ اللهَ لَمْ يَجْعَلْنَا لِلْغَضَبِ (إذ لن نكون هنا)، بَلْ لاقْتِنَاءِ الْخَلاَصِ (الانعتاق من هذا العالم) بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي مَاتَ لأَجْلِنَا، حَتَّى إِذَا سَهِرْنَا أَوْ نِمْنَا نَحْيَا جَمِيعاً مَعَهُ". أي أنه، سواء عشنا إلى أن يعود أو مُتْنا قبل مجيئه، فإننا سوف "نَحْيَا جَمِيعاً مَعَهُ". عندما تَدُقّ ساعة الدينونة هذه سوف لن نكون هناك لنَمُرّ بها؛ سوف نُؤخذ بعيداً بتوافق مع الوعد الذي أُعطِيَ لكنيسة فيلاديلفيا: "لأَنَّكَ حَفِظْتَ كَلِمَةَ صَبْرِي، أَنَا أَيْضاً سَأَحْفَظُكَ مِنْ سَاعَةِ التَّجْرِبَةِ الْعَتِيدَةِ أَنْ تَأْتِيَ عَلَى الْعَالَمِ كُلِّهِ لِتُجَرِّبَ السَّاكِنِينَ عَلَى الأَرْضِ" (رؤيا ٣: ١٠). نحن، المسيحيّون، لا نسكن على الأرض؛ إننا مواطنون في السماء ومن هنا فإننا ننتظر المخلِّص الذي سيأتي ليَختَطفنا من الغضب الآتي.

يختتم الرسول بولس هذا القسم بقوله: "لِذَلِكَ عَزُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضاً وَابْنُوا أَحَدُكُمُ الآخَرَ، كَمَا تَفْعَلُونَ أَيْضاً". بالنسبة لهؤلاء الذين لم يَخْلُصوا بعد لن يكون لهم عزاء في هذه الرسالة. ولن ينالوا شيئاً من ذلك ما لم يأتوا إلى المسيح. بعض الأحياء الآن قد يُحسَبون وسط أولئك الذين سيُختَطفون عندما يأتي الرب ليأخذ قدِّيسيه ليكونوا معه قبل أن يبدأ يوم الدينونة على هذا العالم. "الآن هو يوم خلاص". بينما يُكرَز بالإنجيل، يريد الله أنّ الجميع يؤمنون ويحيَون. إن أصرَّ الناس على رفض ابنه فإنه لن يكون في انتظارهم إلا الدينونة. إنها غلطَتهم ذاتهم إذا ما تخلّفوا في ذلك اليوم العظيم، لأن الله قد جعل طريقاً للنّجاة، وقد أخفقوا في الاستفادة منها. وبالنّسبة لهؤلاء الذين خلصوا ويترقّبون مجيء الرب، فيا له من عزاء سينالونه إذ يعرفون أنّنا لن نكون عُرضةً للويلات التي ستُصيْبُ هذا العالم في تلك الساعة الرّهيبة! سوف نكون معه في بيت الآب. عندما يترل إلى الأرض ليؤسِّس ملكوته سوف نأتي معه، وسوف يُعيِّن المُفتَدين في أماكن السّلطة على هذا الكون الوضيع لنَحْكُم معه: "أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الْقدِّيسِينَ سَيَدِينُونَ الْعَالَمَ؟ فَإِنْ كَانَ الْعَالَمُ يُدَانُ بِكُمْ أَفَأَنْتُمْ غَيْرُ مُسْتَأْهِلِينَ لِلْمَحَاكِمِ الصُّغْرَى؟ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّنَا سَنَدِينُ مَلاَئِكَةً؟" (١ كورنثوس ٦: ٢، ٣). ولذلك يجب أن ننتظر بترقُّب، ليس يوم يهوه، بل مجيء الرب يسوع ليأخذنا لنكون معه ولنكون مثله إلى الأبد. ونعلم من عبرانيين ٩: ٢٧، ٢٨: "وَكَمَا وُضِعَ لِلنَّاسِ أَنْ يَمُوتُوا مَرَّةً ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ الدَّيْنُونَةُ، هَكَذَا الْمَسِيحُ أَيْضاً، بَعْدَمَا قُدِّمَ مَرَّةً لِكَيْ يَحْمِلَ خَطَايَا كَثِيرِينَ، سَيَظْهَرُ ثَانِيَةً بِلاَ خَطِيَّةٍ لِلْخَلاَصِ لِلَّذِينَ يَنْتَظِرُونَهُ".

"إننا نترقَّب يسوع الذي دخل،

إلى قُدسِ الأقداس عندما تخلَّص من الخطيئة:

مكاناً في المجد قد ذهب ليُعدَّ لنا،

حيث سنكون معه؛ ولكن هل ستكون أنت أيضاً هناك؟"

الخطبة السادسة

تمام التقديس لدى عودة الرب

"ثُمَّ نَسْأَلُكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنْ تَعْرِفُوا الَّذِينَ يَتْعَبُونَ بَيْنَكُمْ وَيُدَبِّرُونَكُمْ فِي الرَّبِّ وَيُنْذِرُونَكُمْ، وَأَنْ تَعْتَبِرُوهُمْ كَثِيراً جِدّاً فِي الْمَحَبَّةِ مِنْ أَجْلِ عَمَلِهِمْ. سَالِمُوا بَعْضُكُمْ بَعْضاً. وَنَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ: أَنْذِرُوا الَّذِينَ بِلاَ تَرْتِيبٍ. شَجِّعُوا صِغَارَ النُّفُوسِ، أَسْنِدُوا الضُّعَفَاءَ. تَأَنَّوْا عَلَى الْجَمِيعِ. انْظُرُوا أَنْ لاَ يُجَازِيَ أَحَدٌ أَحَداً عَنْ شَرٍّ بِشَرٍّ، بَلْ كُلَّ حِينٍ اتَّبِعُوا الْخَيْرَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ وَلِلْجَمِيعِ. افْرَحُوا كُلَّ حِينٍ. صَلُّوا بِلاَ انْقِطَاعٍ. اشْكُرُوا فِي كُلِّ شَيْءٍ، لأَنَّ هَذِهِ هِيَ مَشِيئَةُ اللهِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ مِنْ جِهَتِكُمْ. لاَ تُطْفِئُوا الرُّوحَ. لاَ تَحْتَقِرُوا النُّبُوَّاتِ. امْتَحِنُوا كُلَّ شَيْءٍ. تَمَسَّكُوا بِالْحَسَنِ. امْتَنِعُوا عَنْ كُلِّ شِبْهِ شَرٍّ. وَإِلَهُ السَّلاَمِ نَفْسُهُ يُقَدِّسُكُمْ بِالتَّمَامِ. وَلْتُحْفَظْ رُوحُكُمْ وَنَفْسُكُمْ وَجَسَدُكُمْ كَامِلَةً بِلاَ لَوْمٍ عِنْدَ مَجِيءِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ. أَمِينٌ هُوَ الَّذِي يَدْعُوكُمُ الَّذِي سَيَفْعَلُ أَيْضاً. أَيُّهَا الإِخْوَةُ صَلُّوا لأَجْلِنَا. سَلِّمُوا عَلَى الإِخْوَةِ جَمِيعاً بِقُبْلَةٍ مُقَدَّسَةٍ. أُنَاشِدُكُمْ بِالرَّبِّ أَنْ تُقْرَأَ هَذِهِ الرِّسَالَةُ عَلَى جَمِيعِ الإِخْوَةِ الْقِدِّيسِينَ. نِعْمَةُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَعَكُمْ. آمِينَ." (١ تسالونيكي ٥: ١٢– ٢٨).

هذا القسم من الرسالة يتألف بشكل أساسي من تحذيرات ونصائح تستند إلى الحقيقة التي كُشفت لتوها. في الآيتان ١٢و ١٣، لدينا كلمة لوم وعتاب نحو أولئك الذين هم أعضاء في جسد المسيح، وذلك فيما يخص موقفهم نحو أولئك الذين عينهم الله في وسطهم كمرشدين في القضايا الروحية. يقول الرسول: "نَسْأَلُكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنْ تَعْرِفُوا الَّذِينَ يَتْعَبُونَ بَيْنَكُمْ وَيُدَبِّرُونَكُمْ فِي الرَّبِّ وَيُنْذِرُونَكُمْ". إن الله هو من يدعو الناس ليكونوا خداماً له ويعهد إليهم بمواهب متنوعة من تعليم ووعظ أو إدارة، ويقدم هؤلاء الخدام لشعبه لأجل بنيانهم وإرشادهم إلى المسيح. إن القسوس الحقيقيون هم رعاة روحيون مسؤولون عن العناية بأغنام وحملان قطيع المسيح. هؤلاء يجب أن يُقَدَّروا ويُبَجّلوا لأنهم يسعون لتحقيق خدمتهم. "اعْتَبِرُوهُمْ كَثِيراً جِدّاً فِي الْمَحَبَّةِ مِنْ أَجْلِ عَمَلِهِمْ". إنها ليست مسألة إطراء وحسب هنا على شخصيتهم، بل إنها مسألة إدراك واعتراف بأن الله قد عهد إليهم بخدمة التعليم أو الكرازة، أو حض القديسين. لدينا كلمة إضافية نحن المسيحيون في حاجة لكي نتذكرها دائماً ألا وهي: "سَالِمُوا بَعْضُكُمْ بَعْضاً". من السهل جداً أن نسمح لأشياء صغيرة بأن تنشئ خلافاً بين مسيحي وآخر، وهكذا تسبب نزاعاً وروح خصام بين شعب الله المؤمن. عندما نُدرك بأن أي شيء مثل هذا هو في قلبنا فعلينا أن نأخذه في الحال إلى الرب في خزي وإدانة للذات، وأن نطلب النعمة لئلا نقول أو نفعل أي شيء عن عمد من المحتمل أن يسبّبَ خلافاً وسط أبناء الله.

في الآيات ١٤– ٢٢ لدينا اثنتي عشرة تحريض ونصيحة واضحة مميزة. إنها واضحة جداً ومفهومة حتى أن المرء ليس في حاجة إلى استخدام الكثير من الكلمات في محاولة لشرحها؛ إنها تشرح نفسها بنفسها. فأولاً يقول الرسول بولس: "نَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ: أَنْذِرُوا الَّذِينَ بِلاَ تَرْتِيبٍ". هناك دائماً احتمال أن يوجد البعض في كنيسة محلية أو جماعة من القديسين ويكونون بشكل طبيعي متمردين

حرونين، فيرغبون دائماً أن يوجهوا الأمور بشكل يناسب أنفسهم. بعض الناس لديهم نزعة كبيرة بأن تسير الأمور على هواهم، فإن تجاوزْتَهم تجد أن الطبيعة القديمة فيهم سرعان ما تُظهر نفسها. يجب تحذير أمثال هؤلاء، لأنهم يشكلون عوائق أمام البركة.

ومن ثم نقرأ: " شَجِّعُوا صِغَارَ النُّفُوسِ"، أو "مخلوعي الفؤاد"، كما يترجمها آخرون. ليس الجميع جريئين شجعان وسريعين إلى التصرف. علينا أن نكون مراعين لشعور أولئك الذين تعوزهم الثقة والجرأة. "أَسْنِدُوا الضُّعَفَاءَ". بدلاً من انتقاد هؤلاء وتعنيفهم علينا أن نساعدهم على أن يصبروا على ضعفاتهم. هناك ميل لإدانة أولئك الذين ليسوا أقوياء في الإيمان، أو في مجالات أخرى، بالمقدار الذي نتخيل عليه أنفسنا. ولكن ليست تلك روح المسيح. "تَأَنَّوْا عَلَى الْجَمِيعِ". هناك عدة أشياء تختبر صبرنا، حتى في الدوائر والأوساط المسيحية؛ الكثيرون منها ينشئ أو يثير النكد أو المزاجية، ولكننا مدعوون لأن نراعي الآخرين في كل الظروف والمناسبات. "انْظُرُوا أَنْ لاَ يُجَازِيَ أَحَدٌ أَحَداً عَنْ شَرٍّ بِشَرٍّ، بَلْ كُلَّ حِينٍ اتَّبِعُوا الْخَيْرَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ وَلِلْجَمِيعِ". على المسيحي ألا يقابل الأذى بمثله. قال سافونارولا[7] قبل سنين: "إن قوام حياة المسيحي هو عمل الصلاح وتحمّل الشر". ولقد علّمنا الرب ما يجب أن يكون عليه موقفنا عندما نواجه الشر: "مَنْ ضَرَبَكَ عَلَى خَدِّكَ فَاعْرِضْ لَهُ الآخَرَ أَيْضاً وَمَنْ أَخَذَ رِدَاءَكَ فَلاَ تَمْنَعْهُ ثَوْبَكَ أَيْضاً" (لوقا ٦: ٢٩). وقال الرسول بولس: "لاَ تُجَازُوا أَحَداً عَنْ شَرٍّ بِشَرٍّ" (رومية ١٢: ١٧). بل إن علينا حتى أن نبادل الشر بالخير.

النصيحة السادسة هي "افْرَحُوا كُلَّ حِينٍ". إن من يعرف المسيح يمكنه أن يبتهج وسط الأمم. "فرحُ الرب قوتك". إن تلاشى فرحه فيمكننا أن نكون بذلك متأكدين من أن شيئاً ما يسير على غير ما يرام؛ وأن هناك شيئاً في حاجة إلى أن يصوّب. جورج مويلر، رسول الإيمان العظيم في القرن التاسع عشر، قال في إحدى المناسبات: "إني لا أسمح لنفسي أبداً بأن أبدأ نهاري دون أن أضع أمام الله أي شيء جعلني حزيناً أو مكروباً، لأني أريد أن أكون أمامه دائماً في روح الفرح". قد نلوم الآخرين على نقص هذا الفرح لدينا، ولكن حقيقة الأمر هي أنه إن كان فرحنا قد ذهب فليس لنا أن نلوم أحداً إلا أنفسنا. إنها تُظهر أننا خارج علاقة الشِّرْكة مع الله. إن ربنا المبارك قد أعطى مثالاً هنا. فعلى الرغم من حقيقة أن الناس قد رفضوه إلا أن روحه كانت دائما حافلة بالفرح والسرور بينما كان يتحادث بحميمية مع أبيه.

في المثال السابع نجد تحريضاً على أن "صَلُّوْا بِلَا انْقِطَاعٍ". لا يمكنني دائماً أن أنطق بكلمات للصلاة، ولكن يمكنني أن أكون في موقف الصلاة على نحو مستمر: أي أن أكون دائماً في روح الاتكال على الله. "الصلاة هي رغبة النفس المخلصة، سواء نُطِقَ بها أم بقيت غير مُعَبَّر عنها". علينا أن نمضي عبر الحياة وبقلوب تتطلع إلى الله مهما كان انشغالنا بالأشياء الأخرى.

النصيحة التالية هي أمر نحتاج جميعاً أن نضعه نصب أعيننا: "اشْكُرُوا فِي كُلِّ شَيْءٍ، لأَنَّ هَذِهِ هِيَ مَشِيئَةُ اللهِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ مِنْ جِهَتِكُمْ". "الشكر" و"القداسة" يسيران جنباً إلى جنب. فقط عندما صار

---

[7]- سافونارولا: (Girolamo Savonarola): (١٤٥٢- ١٤٩٨): مُصلِحٌ إيطالي. [فريق الترجمة].

الناس ناكرين وجاحدين، عندها فقط تحولوا عن الله وذهبوا إلى الوثنية. "وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعاً لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللهَ الَّذِينَ هُمْ مَدْعُوُّونَ حَسَبَ قَصْدِهِ" (رومية ٨: ٢٨). إن تقديم الشكر يُقْصِي كل تذمر. لقد رأينا أناساً يذهبون إلى مائدة الطعام ويرفعون صلاة الشكر إلى الله على الطعام الذي زودهم به، وقبل أن تُفْتَحَ أعينهم بعد الصلاة نجدهم سرعان ما يبدأون بالتذمر حول هذا الطعام. فنفس الشفاه التي رفعت شكراً إلى الله قبل لحظات على وجبة الطعام تلك هي الآن تجد عيوباً في الطعام. ومع ذلك هناك أعداد هائلة من الناس المبتلين بالفقر في العالم والذين سيبدو ذلك الطعام لهم أكثر لذة وأكثر ترفاً. إن تقديم الشكر "في كل شيء" هو أن ندرك ونقدر أن كل ظروفنا تأتي من الله. قد يسأل سائل: "ولكن أليس الشيطان هو من يأتي بالأشياء الشريرة إلى حياتي؟" نعم؛ إن الشيطان هو من سُمِحَ له بأن يُبْلِي أيوب بالأوجاع، ولكن أيوب نظر إلى ما وراء الشيطان، إلى ذاك الذي سمح للعدو بتلك الحرية؛ وقال: "الرَّبُّ أَعْطَى وَالرَّبُّ أَخَذَ فَلْيَكُنِ اسْمُ الرَّبِّ مُبَارَكاً"، و"أَالْخَيْرَ نَقْبَلُ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَالشَّرَّ لاَ نَقْبَلُ؟" (أيوب ١: ٢١؛ ٢: ١٠). إن تذكَّرْتُ أن الرب هو من يسمح بتلك الأشياء غير السَّارَّة بأن تحدث لخيري فعندها سأكون قادراً على أن أشكره على كل شيء. عليَّ أن أسعى لأن أتعلّم الدروس التي يعطيني إياها.

"لاَ تُطْفِئُوا الرُّوحَ". إن غير المُخلَّص قد يُقاوِم الروح، ولكن المؤمنين فقط هم الذين يُبْصِرون الروح. وأيضاً قد نُحزِن الروح. إنه أُقنومٌ إلهيّ وهو يسكن في قلوبنا. أن نُطْفِئ الروح يعني أن نُخفِق في التجاوب مع إرشاده لنا.

إن التَّحريض العاشر هو "لاَ تَحْتَقِرُوا النُّبُوَّات". أي علينا أن نكون مستعدِّين أن نميز رسائل الله عندما يتحدّث خُدَّامه إلينا. في ١ كو ١٤: ٣، نقرأ: "وَأَمَّا مَنْ يَتَنَبَّأُ فَيُكَلِّمُ النَّاسَ بِبُنْيَانٍ وَوَعْظٍ وَتَسْلِيَةٍ". إن من ينقل نبوءة ليس بالضرورة يتكهّن بالمستقبل وإنما يتنبّأ عن المستقبل، إنه إنسان يُخبِر مُسبَقاً بفكر الله؛ وبالطبع هذا دائماً سيستند على كلمة الله.

ثم نجد القول: "امْتَحِنُوا كُلَّ شَيْءٍ. تَمَسَّكُوا بِالْحَسَنِ". بمعنى: امتحنوا الخطوط المختلفة في التّعليم. إن الاختبار الوحيد هو كلمة الله. علينا أن نمتحن كلّ ما نسمعه وذلك بالاستناد إلى الكتاب المقدس ثم نتمسَّك بما هو صالح حسن، وننبذ كلّ شيء آخر.

إن آخر هذه التّحريضات هو أمرٌ نحن نميل إلى تناسيْه بسبب استقلال أرواحنا: "امْتَنِعُوا عَنْ كُلِّ شِبْهِ شَرٍّ". لعلّكم تمارسون عادة ما؛ أو لعلكم تفعلون أمراً لا تقصدون به أذىً وقد تقولون أنه ليس لأحد أن يحاكمكم أو يدينكم في ما يخص هذا الأمر، ولكن الشخص الأضعف قد يعتقد بأن فيه شرّاً. علينا أن نتذكر أن الآخرين ينظرون إلينا ويلاحظون كيف نسلُك. علينا أن نمتنع عن كل مظاهر الشر– أي ما شابه الشر، أو حرفياً من كل شكل من أشكال الشر.

والآن نأتي إلى نصٍّ لطالما أزعج كثيرين من النّاس. "وَإِلَهُ السَّلاَمِ نَفْسُهُ يُقَدِّسُكُمْ بِالتَّمَامِ. وَلْتُحْفَظْ رُوحُكُمْ وَنَفْسُكُمْ وَجَسَدُكُمْ كَامِلَةً بِلاَ لَوْمٍ عِنْدَ مَجِيءِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ". أنْ يُقدّس، كما رأينا، يعني

أن يفرز، أن يفصل عن ما هو شرّ. على المسيحي أن يكون منفصلاً عن الأمور الدّنيوية، وعن كل ما هو أثيمٌ شرّير. أخذ البعض كأمر مُسَلّم به أن التّقديس يعني الاستئصال المُطْلَق للخطيئة الطبيعية الفطرية. ولكن كما رأينا في دراستنا للآية ٤: ٣، ليس هناك نص كتابي واحد يعالج موضوع التقديس من وجهة النّظر تلك. إن التقديس يُصوَّر في ثلاثة أشكال مختلفة في الكتاب المقدس. فكل مؤمن يتقدس بالروح القدس؛ وذلك عمل يبدأ قبل أن يأتي المرء إلى معرفة محدَّدَة للخلاص. نقرأ في الرسالة الأولى لبطرس أننا "مُخْتَارونَ بِمُقْتَضَى عِلْمِ اللهِ الآبِ السَّابِقِ، فِي تَقْدِيسِ الرُّوحِ لِلطَّاعَةِ، وَرَشِّ دَمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (١ بطرس ١: ٢). وفي (٢ تسالونيكي ٢: ١٣)، نقرأ: "وَأَمَّا نَحْنُ فَيَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَشْكُرَ اللهَ كُلَّ حِينٍ لأَجْلِكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ الْمَحْبُوبُونَ مِنَ الرَّبِّ، أَنَّ اللهَ اخْتَارَكُمْ مِنَ الْبَدْءِ لِلْخَلاَصِ، بِتَقْدِيسِ الرُّوحِ وَتَصْدِيقِ الْحَقِّ". في هذه النصوص الكتابية لدينا هدف الله في الماضي– انتخاب واختيار. بتقديس الروح يتم تحقيق ذلك في الزمن الملائم. إن روح الله هو الذي كان يعمل فينا وأرانا حاجتنا إلى مخلِّص وقادنا إلى أن نؤمن بالمسيح. ثم الروح القدس يأتي ليسكُن فينا. ويتابع عمل التقديس طوال حياتنا المسيحية.

إن التقديس الوَظيفيّ هو كامل على نحوٍ مُطلَق من لحظة إيماننا. فمنذ ذلك الحين نُفرَز لله إزاء قيمة دم المسيح الثّمين. هذا التقديس كامل هو "لأَنَّهُ بِقُرْبَانٍ وَاحِدٍ قَدْ أَكْمَلَ إِلَى الأَبَدِ الْمُقَدَّسِينَ" (عبرانيين ١٠: ١٤). ما من شيء يمكن أن يُؤْخَذ منه أبداً؛ ما من شيء يمكن أن يُضَافَ إليه. المسيح نفسه هو تقديسنا، ونحن كاملون فيه.

الجانب الثالث هو التقديس بالكلمة. صلّى يسوع قائلاً: "قَدِّسْهُمْ فِي حَقِّكَ. كلاَمُكَ هُوَ حَقٌّ" (يوحنا ١٧: ١٧). وإذْ نقرأ وندرس كلمة الله تَتَكشّف لنا الحقائق الرائعة التي هناك، ونتعلّم من ذلك الكلمة ما يتوافق مع إرادته. وإذ نُطيع الكلمة فإننا نتقدس عملياً. هذا التقديس سوف لن يكتمل إلى أن نصل إلى نهاية رحلة حَجِّنا. إننا نتقدس في المسيح يسوع في اللحظة التي نؤمن فيها به، ولكن إذ نغتذي بالكلمة ونطبّقها عملياً على حياتنا فإننا نتقدس بالحق.

غالباً ما يخبرني الناس أنهم مقدّسون بشكل كامل. عندما أطرح عليهم السؤال: "هل قرأتم أبداً الكتاب المقدس من البداية إلى النهاية؟" فإنهم غالباً ما يقولون: "لا. لا يمكنني أن أقول أني قرأته كلُّه من البداية إلى النهاية على هذا الشكل، ولكني قرأت مقداراً كبيراً منه". فأقول لهم عندئذ: "كيف لكم أن تتقدسوا كُلياً إن لم تقرأوا الكتاب المقدس برُمَّته، علماً أن التقديس هو بالكلمة؟"

متى سيكتمل تقديسنا؟ لاحظوا ما نقرأ هنا: "وَإِلَهُ السَّلاَمِ نَفْسُهُ يُقَدِّسُكُمْ بِالتَّمَامِ. وَلْتُحْفَظْ رُوحُكُمْ وَنَفْسُكُمْ وَجَسَدُكُمْ كَامِلَةً بِلاَ لَوْمٍ عِنْدَ مَجِيءِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ". فسوف نتقدس كلنا بالكامل. "نَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا أُظْهِرَ نَكُونُ مِثْلَهُ، لأَنَّنَا سَنَرَاهُ كَمَا هُوَ" (١ يوحنا ٣: ٢). إن روحنا كلِّياً، وهي أسْمى ما في الإنسان؛ نفسُنا، مقرُّ طبيعتنا العاطفيَّة؛ وأجسادنا، وقد تمجَّدت حين ذاك، ستكون كاملة التّقديس في ذلك اليوم، وسوف نكون مُتكيِّفين مُتطابقين تماماً وكلّياً مع ربّنا يسوع المسيح. هذا هو الوعد الثّمين الذي تحتويه الآية ٢٤: "أَمِينٌ هُوَ الَّذِي يَدْعُوكُمُ الَّذِي سَيَفْعَلُ أَيْضاً".

هل تعرفه الآن كمخلِّص شخصيٍّ لك؟ هل تتوق إلى اليوم الذي تكون فيه مُتَحرِّراً بشكل كامل من الحزن والألم والخطايا؟ هل تتطلع إلى أن تصبح مثله؟ حسناً إن الله قد دعاك لأجل هذا الهدف. فَكِّر في أمانته الّلا متناهية: فهو يضمن أن يمضي بنا إلى تلك الغاية المرجوَّة في المسيح يسوع: "الَّذِي ابْتَدَأَ فِيكُمْ عَمَلاً صَالِحاً يُكَمِّلُ إِلَى يَوْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (فيلبي ١: ٦).

والآن في الآيات الأربع الأخيرة نجد التحريض الختامي والتحية الختامية. "أَيُّهَا الإِخْوَةُ صَلُّوا لأَجْلِنَا". أي، صلّوا لأجلنا كخُدام للمسيح ومُرسَلين لنُعَلِّي راية صليب المسيح، ومُعلّمين لكلمة الله. أولئك الذين يؤدون الشّهادة علانيّة يحتاجون إلى صلوات شعب الله من أجلهم، لأنهم من الممكن أن يُخفِقوا بشكل أو بآخر. إنهم في حاجة إلى الصلاة لكي يكونوا قادرين على أن يقدّموا شهادة ثابتة لمجد المسيح، بينما هم يسعون لخدمة كلمة الله.

"سَلِّمُوا عَلَى الإِخْوَةِ جَمِيعاً بِقُبْلَةٍ مُقَدَّسَةٍ". القُبْلَة كانت الطريقة المألوفة المعتادة ليُحيِّي أحدهم الآخر. إن التركيز هنا ليس على كلمة "قبلة" بل على كلمة "مقدسة"– "سَلِّمُوا عَلَى بعضكم البعض بِقُبْلَةٍ مُقَدَّسَةٍ". إن كانت طريقتنا في التحيّة هي المصافحة باليد فعندئذ يجب أن تكون مصافحة مقدسة، لعلكم رأيتم رجلين يغتابان شخصاً ثالثاً، وينظر أحد الاثنين وإذ به يرى ذلك الشخص الثالث آتياً فجأة إليهم دون أن يتوقّعوا، فنجد أن أحدهم يمسك بيد الرجل الثالث ويقول: "آخ يا أخي العزيز أنا مسرور جداً برؤيتك". هذه في الواقع مصافحة غير مقدسة. أو لعلكم ترون امرأتين– لا سمح الله– تنتقدان امرأة أخرى تظهر لهما فجأة، وتمرع إحدى المرأتين إلى تلك المرأة الثالثة، وتُقَبِّلها قبلة من القلب. في الواقع هذه ليست سوى "قبلة يهوذا". ما يؤكِّد عليه الرسول هنا هو أهمية الواقعية إذ نحيّي أحدنا الآخر. ليكن موقفكم نحو بعضكم البعض مقدساً، وسوف لن ترتبكوا إذا ما التقيتم بشخص ثالث على شكل مفاجئ.

"أُنَاشِدُكُمْ بِالرَّبِّ أَنْ تُقْرَأَ هَذِهِ الرِّسَالَةُ عَلَى جَمِيعِ الإِخْوَةِ الْقِدِّيسِينَ". لقد عيّن الله مؤمنين مقدَّسين أمامه في المسيح، ولذلك فهو يجرُؤ على أن يستخدم ذلك التعبير. يختتم بولس الرسالة بالتحيّة البولُسيَّة المعتادة أو مَنْح البركة، "نِعْمَةُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَعَكُمْ".

الرسالة الثانية إلى أهل تسالونيكي

الخطبة الأولى

الثواب والعقاب عند عودة الرب

"بُولُسُ وَسِلْوَانُسُ وَتِيمُوثَاوُسُ، إِلَى كَنِيسَةِ التَّسَالُونِيكِيِّينَ، فِي اللهِ أَبِينَا وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. نِعْمَةٌ لَكُمْ وَسَلاَمٌ مِنَ اللهِ أَبِينَا وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَشْكُرَ اللهَ كُلَّ حِينٍ مِنْ جِهَتِكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ كَمَا يَحِقُّ، لأَنَّ إِيمَانَكُمْ يَنْمُو كَثِيراً، وَمَحَبَّةُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ جَمِيعاً بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ تَزْدَادُ، حَتَّى إِنَّنَا نَحْنُ أَنْفُسَنَا نَفْتَخِرُ بِكُمْ فِي كَنَائِسِ اللهِ، مِنْ أَجْلِ صَبْرِكُمْ وَإِيمَانِكُمْ فِي جَمِيعِ اضْطِهَادَاتِكُمْ وَالضِّيقَاتِ الَّتِي تَحْتَمِلُونَهَا، بَيِّنَةً عَلَى قَضَاءِ اللهِ الْعَادِلِ، أَنَّكُمْ تُؤَهَّلُونَ لِمَلَكُوتِ اللهِ الَّذِي لأَجْلِهِ تَتَأَلَّمُونَ أَيْضاً، إِذْ هُوَ عَادِلٌ عِنْدَ اللهِ أَنَّ الَّذِينَ يُضَايِقُونَكُمْ يُجَازِيهِمْ ضِيقاً، وَإِيَّاكُمُ الَّذِينَ تَتَضَايَقُونَ رَاحَةً مَعَنَا عِنْدَ اسْتِعْلاَنِ الرَّبِّ يَسُوعَ مِنَ السَّمَاءِ مَعَ مَلاَئِكَةِ قُوَّتِهِ، فِي نَارٍ لَهِيبٍ، مُعْطِياً نَقْمَةً لِلَّذِينَ لاَ يَعْرِفُونَ اللهَ وَالَّذِينَ لاَ يُطِيعُونَ إِنْجِيلَ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِينَ سَيُعَاقَبُونَ بِهَلاَكٍ أَبَدِيٍّ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ وَمِنْ مَجْدِ قُوَّتِهِ، مَتَى جَاءَ لِيَتَمَجَّدَ فِي قِدِّيسِيهِ وَيُتَعَجَّبَ مِنْهُ فِي جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ. لأَنَّ شَهَادَتَنَا عِنْدَكُمْ صُدِّقَتْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، الأَمْرُ الَّذِي لأَجْلِهِ نُصَلِّي أَيْضاً كُلَّ حِينٍ مِنْ جِهَتِكُمْ: أَنْ يُؤَهِّلَكُمْ إِلَهُنَا لِلدَّعْوَةِ، وَيُكَمِّلَ كُلَّ مَسَرَّةِ الصَّلاَحِ وَعَمَلَ الإِيمَانِ بِقُوَّةٍ، لِكَيْ يَتَمَجَّدَ اسْمُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ فِيكُمْ، وَأَنْتُمْ فِيهِ، بِنِعْمَةِ إِلَهِنَا وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (٢ تسالونيكي ١:١– ١٢).

إن رسالتي تسالونيكي، التي درسنا الأولى منهما لتونا، كانتا قد كُتِبَتا إلى الكنيسة في تسالونيكي من مدينة كورنثوس، حيث كان بولس قد ذهب بعد أن ترك بيّرية. الرسالة الأولى كانت تعالج بشكل كبير موضوع مجيء الرب يسوع المسيح من أجل قديسيه. من الواضح أن بعض المسيحيين في تسالونيكي كانوا قد أساؤوا فهم التعليم الذي أعطاه لهم الرسول (بولس) فيما يتعلق بهذا الموضوع. يبدو أنهم قد جاؤوا إلى الاستنتاج بأنه طالما أن مجيء الرب قد يحدث في أية لحظة فإنه لا طائل من العمل من أجل العيش وكسب الرزق. وإذاً بما أنهم مدعوون لأن يمرّوا عبر بعض خبرات مرهقة وشاقة وموجعة ومؤلمة، طرأت في ذهنهم فكرةٌ انتشرت بينهم بشكل واسع بأنهم كانوا يدخلون لتوهم في فترة الضيقة العظيمة. إن الرسول، وإذ سمع بهذه الأفكار المغلوطة الغريبة الناجمة عن سوء فهم للحقيقة التي كان قد سعى جاهداً ليُعلنها، كتب هذه الرسالة الثانية لكي يُصحح أو يُصوب هذه الرؤى الفاسدة المؤذية وليأتي بهم إلى فهم محدد وواضح للأمور المتعلقة بمسؤوليتهم في حين أنهم، كمسيحيين، ينتظرون مجيء الرب يسوع المسيح.

هذا الأصحاح الأول يتألف بشكل طبيعي من ثلاثة أقسام. في أول آيتين لدينا التحية الرسولية. في الآيات ٣– ١٠ يحاول الرسول (بولس) أن يُريح ويُحيّي ويُشجّع أولئك المؤمنين الذين كانوا يتحملون معاناة واضطهادات وضيقات شديدة من أجل المسيح. إنه يُخبرهم بأنها علامة على قضاء الله العادل أن قديسيه يُعتبرون جديرين بأن يعانوا الاضطهاد من أجل اسمه؛ لأنه سوف يجازيهم عندما يعودون مع الرب

في ذلك اليوم عندما سيستعلن الرب من السماء ليجازي ضيقاً أولئك الذين رفضوه واضطهدوا شعبه. في الآيات ١١، ١٢ لدينا صلاة الرسول (بولس) من أجل القديسين لكي يُكمل الله كل مسرة الصلاح فيهم.

لاحظ التحية في الآيات ١، ٢: "بُولُسُ وَسِلْوَانُسُ وَتِيمُوثَاوُسُ، إِلَى كَنِيسَةِ التَّسَالُونِيكِيِّينَ، فِي اللهِ أَبِينَا وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. نِعْمَةٌ لَكُمْ وَسَلاَمٌ مِنَ اللهِ أَبِينَا وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ". إن أسلوب الخطاب هنا هو نفسه كما في الرسالة الأولى إلى أهل تسالونيكي، وفقط في هاتين الرسالتين يمكنك أن تجد الكنيسة، الكنيسة المحلية، يجري الحديث عنها على هذا النحو: "الكَنِيسَةِ التي فِي اللهِ أَبِينَا وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ". إن التركيز هو على العلاقة العائلية. فهؤلاء كانوا مؤمنين حديثي العهد، ولكنهم عرفوا الله كآب. لقد كانوا أبناء، ويسوع المسيح كان ربهم. يطلب الرسول بولس لهم "النعمة... والسلام". إننا في حاجة إلى النعمة من أجل كل خطوة في طريقنا، وإذ نتعلم أن نثق بالآب الحي فإننا نتمتع بسلام الله الذي يشدّد ويقوّي القلب ويعزز ثقتنا، في حين أننا نسعى في رحلة حجنا عبر أمواج الحياة في هذا العالم القلق المضطرب.

بَدأً بالآية ٣ يتولى بولس أن يُعزّي ويُشدّد عزم القديسين وسط المحن والضيقات والاضطهادات التي يحتملونها. إنه يقول: "يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَشْكُرَ اللهَ كُلَّ حِينٍ مِنْ جِهَتِكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ كَمَا يَحِقُّ، لأَنَّ إِيمَانَكُمْ يَنْمُو كَثِيراً، وَمَحَبَّةُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ جَمِيعاً بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ تَزْدَادُ". وإن كلمة "المحبة" هنا تعني المحبة الصادقة العميقة وليس تلك المحبة التي تتحول مع تدرج السنين إلى فكرة الإحسان والصدقة. تلك هي المحبة التي يتحدث بولس عنها هنا. ولكن المحبة الحقيقية لا تخلو من الإحسان، من جهة الاعتبار والإحساس بالآخرين.

هناك أمران يستحسنهما (بولس) في الكنيسة (التي في تسالونيكي) ويُثني عليهما: إيمان متنامٍ ومحبة متزايدة. إنه أمر رائع عندما يتميز المسيحيون بهذه الميزات. غالباً ما نجد مؤمنين، يكونون على الطريق لسنوات كثيرة، ينظرون على الدوام إلى تلك الأيام الأولى الماضية. إنهم يسألون بكلمات الترنيمة القديمة التي تقول:

"أين نعيم السعادة التي عرفتُ

عندما رأيتُ الرب لأول مرة؟

أين تلك الرؤية المنعشة للنفس

في يسوع وكلمته؟"

إنهم يفكرون في لحظات البهجة الأولى وهم يُرنمون قائلين:

"يا لفرحتي في ذلك اليوم الذي قررتُ فيه الاختيار

واخترتُكَ أنت يا مخلصي وإلهي"

ولكن كثيرين لا يستطيعون أن يقولوا في اللحظة الحاضرة كما يرد في المقطع الأخير من القصيدة التي تقول:

"ليبتهج هذا القلب المتّقد،

ويحكي عن أفراحه للكل".

إنه لأمر مثير للشفقة أن نجد أن حالة المسيحي الحالية هي أدنى مما كانت عليه قبل سنوات عندما اهتدى إلى الإيمان لأول مرة. كان الرب ليقول لكنيسة أفسس: "أنتقد فيكم أنكم قد هجرتم محبتكم الأولى". لقد كان الأمر بعكس ذلك مع المؤمنين في تسالونيكي. فقد انقضى بعضُ وقتٍ منذ أن اهتدوا، إلا أن إيمانهم كان ينمو على نحو متزايد، وكانوا يزدادون محبة لبعضهم البعض. أفلا نسبر أغوار قلوبنا لنتأكد إذا ما كانت هذه الأشياء حقيقية فينا، ونسأل أنفسنا: هل ينمو إيماننا على نحو متزايد؟ هل لنا ثقة بالله أكبر اليوم مما كانت عليه عندما أتينا إليه في بداية حياتنا المسيحية؟ هل أثبتنا واختبرنا عبر السنين أننا يمكن أن نُعدَّ خاصين به (خاصّته) على نحو أكمل وأعظم (الآن) أكثر مما كنا عندما أتينا أولاً إلى معرفته؟ إذا لم يكن هذا حقيقياً فعندها يكون واضحاً أننا في حالة متقهقرة متأخرة. إن الانحدار قد بدأ. إننا في حاجة إلى أن نلتجئ إلى الله وأن نصرخ إليه أن "رُدَّ لي بهجةَ خلاصكَ"، بهجة تلك الأيام الباكرة. مكتوبٌ: "أَمَّا سَبِيلُ الصِّدِّيقِينَ فَكَنُورٍ مُشْرِقٍ يَتَزَايَدُ وَيُنِيرُ إِلَى النَّهَارِ الْكَامِلِ" (أمثال ٤: ١٨). أولئك الذين عرفوا الرب لسنوات يجب أن يكونوا أقوى بالإيمان مما كانوا عليه قبلاً على الإطلاق؛ علينا أن نكون متميزين أكثر بالمحبة الفياضة المتزايدة مع كل يوم يمر.

وكما أشار بولس فإن هذه دلائل وبيّنات على نعمة عمل الله في أولئك المؤمنين، فقال: "حَتَّى إِنَّنَا نَحْنُ أَنْفُسَنَا نَفْتَخِرُ بِكُمْ فِي كَنَائِسِ اللهِ، مِنْ أَجْلِ صَبْرِكُمْ وَإِيمَانِكُمْ فِي جَمِيعِ اضْطِهَادَاتِكُمْ وَالضِّيقَاتِ الَّتِي تَحْتَمِلُونَهَا". لقد كانوا يمرون بفترة من المعاناة الشديدة والمحن والضيقات والألم المرير من أجل المسيح؛ ولكن تجلت نعمة الله في حياتهم بطريقة رائعة. كيف أمكنهم أن يكونوا هكذا مبتهجين ومطمئنين مستريحين رغم الاضطهادات التي كانوا يحتملونها، هذا شيء ما كان أعداؤهم ليفهموه. يتحدث الرسول بولس في مكان آخر، إذ يكتب إلى أهل فيليبي، عن مؤمنين يثابرون على الوحدة المقدسة البهيجة. غير المؤمنين ما كانوا يستطيعون أن يفهموها. لقد كانوا يقولون: "أنى لهؤلاء المسيحيين ألا يتأثّروا بمحاولاتنا إزعاجهم؟ إنهم يستمرون في الابتهاج ويبادلوننا المحبة مقابل الكراهية، ويبادلوننا اللطف مقابل الحقد، ويُصلّون لأجل الذين يضطهدونهم. لا يمكننا أن نفهم ذلك". إن هذه يجب أن تكون صفات مميزة بأولئك الذين افتداهم الرب يسوع المسيح.

"بَيِّنَةً عَلَى قَضَاءِ اللهِ الْعَادِلِ، أَنَّكُمْ تُؤَهَّلُونَ لِمَلَكُوتِ اللهِ الَّذِي لأَجْلِهِ تَتَأَلَّمُونَ أَيْضاً". إننا نُصار ورثةً للملكوت بالولادة الجديدة، ولكننا نبرهن استحقاقنا لذلك الملكوت باستعدادنا الذي به نحتمل الألم والاضطهاد من أجل المسيح هنا على الأرض. ويخبرنا الكتاب المقدس أننا إن كنا سنتألم معه فإننا أيضاً سنملك معه. إن كل المؤمنين يتألمون معه بشكل أو بآخر. ولكن ليس الجميع يتألمون لأجله بنفس الطريقة. من ليس مسيحياً على الإطلاق، لا يمكنه أن يكون سُكنى للروح القدس، ولا يمكن أن يتألم مع المسيح. إن الحقيقة نفسها، في أننا ننتمي إليه وأننا قد تلقينا طبيعة جديدة ومقدسة، هي نفسها تجعلنا نتألم إذ نمرّ في هذا العالم الذي رفضه. ولكن أن نتألم من أجله هو أمر أكثر من ذلك. إنه يعني أن نتخذ موقفاً محدداً من أجله، فنصبح بذلك عُرضة لتلقي سهام كراهية العالم، ويكون الأمر كما لو أننا نكون هكذا مستعدين لاحتمال الحزن والأسى والمعاملة السيئة مخلصين إلى المسيح الذي لدينا الفرصة لنثبت لأنفسنا بأننا نستحق ملكوت الله، ذاك الذي ننتمي إليه بالولادة الجديدة.

يستأنف الرسول بولس كلامه عن مجيء الرب يسوع المسيح في دينونة جزائية، ويُظهر لنا أن تمييزاً كبيراً سيُجرى في ذلك اليوم بين أولئك الذين عرفوا المخلص وأحبوه وأولئك الذين رفضوا الإيمان بالإنجيل، والذين أصرّوا على الاستمرار في خطاياهم وشرهم في لا مبالاة كاملة بالله الذي خلقهم. إنه يقول: "إِذْ هُوَ عَادِلٌ عِنْدَ اللهِ أَنَّ الَّذِينَ يُضَايِقُونَكُمْ يُجَازِيهِمْ ضِيقاً". علينا أن نحب أعداءنا؛ علينا أن نبارك أولئك الذين يلعنوننا، وأن نصلي من أجل لأولئك الذين يعاملوننا بازدراء. إلا أن الله وفي الوقت الذي يجده مناسباً سوف يتعامل مع أولئك الذين اضطهدوا كنيسته. ففي المجيء الثاني لربنا يسوع المسيح ليؤسس ملكوته المجيد سوف يُنزل العقاب والدينونة بأولئك الذين يعيشون على الأرض. أما أولئك الذين ماتوا فيُحفَظون إلى جلسة المحكمة الكبيرة الأخيرة. عندما سينزل ليُجازي ضيقاً أولئك الذين ضايقوا شعبه، فإنه سيُعنى بأولئك الذين كانوا هدف الإزعاج والمضايقة، "وَإِيَّاكُمُ الَّذِينَ تَتَضَايَقُونَ رَاحَةً مَعَنَا عِنْدَ اسْتِعْلاَنِ الرَّبِّ يَسُوعَ مِنَ السَّمَاءِ مَعَ مَلاَئِكَةِ قُوَّتِهِ"؛ أي أنه عندما سيستعلن مع الغيوم بقوةٍ وبهاء مجده العظيم، فإنه سيجازي بالضيق، والبلاء، والألم كل هؤلاء الذين يستحقون أن يصب عليهم جام غضبه، إلا أنه، بالمقابل، سيجازي بالراحة، والفرح، والتعزية كل خاصّته. سوف يتجلى الرب مع ملائكته المقتدرين، "فِي نَارٍ لَهِيبٍ، مُعْطِياً نَقْمَةً لِلَّذِينَ لاَ يَعْرِفُونَ اللهَ وَالَّذِينَ لاَ يُطِيعُونَ إِنْجِيلَ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ". ليس هذا مجيء الرب لأجل خاصته، الذي نقرأ عنه في الأصحاح ٤ من الرسالة الأولى. إنه الاستعلان، يوم الرب، الذي يتحدث عنه الأصحاح ٥. إنه ظهور الرب يسوع المسيح للعالم كما تصفه (رؤيا ١: ٧): "هُوَذَا يَأْتِي مَعَ السَّحَابِ، وَسَتَنْظُرُهُ كُلُّ عَيْنٍ، وَالَّذِينَ طَعَنُوهُ، وَيَنُوحُ عَلَيْهِ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ". فعندئذ يأتي كقاضٍ ديّان ليُهلك أولئك الذين على الأرض الذين ازدروا بنعمته. هذا الحدث العظيم سيُعلَن بجلاء في ذلك العهد المجيد عندما سيملك الرب يسوع بالبر من البحر إلى البحر ومن النهر إلى أطراف الأرض. سيظهر في نار ملتهبة، وينتقم ويصب قضاءه الجزائي على أولئك الذين لم يعرفوا الله، وأولئك الذين لم يطيعوا الإنجيل. فها هنا فئتان من الناس: أولئك الذين لم يعرفوا الله، وهم الوثنيون الذين عاشوا في جهل بالإنجيل، ولكن في تمرد واضح ضد الله خالقهم؛ والفئة الثانية هم أولئك الذين سمعوا ولكن رفضوا الحقيقة.

يتساءل الناس: "هل سيتعامل الله مع الوثنيين بإدانة؟ هل سيرسلهم إلى الجحيم لأنهم رفضوا يسوع المسيح في وقت لم يعرفوا المسيح أو يسمعوا عنه؟" لا. إنه لن يرسلهم إلى الجحيم بسبب رفضهم يسوع المسيح، بل إنه سيدينهم من أجل خطاياهم. نقرأ في الأصحاح الأول من رسالة رومية أنهم قد استسلموا إلى النجاسة، لأنهم خطئوا ضد ضميرهم الذاتي وضد الله الذي عرفوه يوماً. ولذلك فسواء وصلتهم الكلمة أم لم تصل عن طريق مُرْسَلين، فإنهم يخطئون ضد النور الذي أعطاهم الله إياه. عندما يعود الرب يسوع فإنه سيُنزل دينونة على جميع أولئك الذين لم يعرفوا الله. إن الفئة الأكثر ذنباً والتي عليها سيصب جام غضبه هم أولئك الذين لا يطيعون إنجيل ربنا يسوع المسيح. هذه مسألة ينبغي على أولئك الذين يعيشون في هذه الأرض الأثيرة أن ينظروا إليها بإجلال كبير. عندما أسمع أناساً يتحدثون بشكل سطحي وبدون تروٍ عن الوثنيين وعما سيفعل الله بهم، أشعر أنه كان عليهم أن يفكروا بأبعد من ذلك فيما يخص أنفسهم. ما الذي سيفعله الله مع أولئك الذين سمعوا رسالته مراراً وتكراراً والذين رفضوها بازدراء، أولئك الذين عرفوا عن المسيح طوال حياتهم ورفضوا محبته ونعمته؟ إن إحدى الأشياء التي تُحزنني أكثر هو أن أرى شباناً وفتياتٍ ينشأون في بيوت مسيحية حيث لديهم مثال من التقوى من خلال أب وأم تقيّين، وحيث العبادة العائلية قد حفظت؛ ومع ذلك فإنهم يخرجون من تلك البيوت المسيحية ليعيشوا حياة لا مبالاة وعدم اكتراث؛ ويستخدمون أحياناً تلك العبارة الحمقاء بأنهم كان لديهم دين أو تدين بما فيه الكفاية عندما كانوا صغاراً أم الآن فما عادوا يريدونه! كم تكشف هذه التعابير تمرد القلب وتقسّي الضمير! فمن أجل هؤلاء ليس هناك إلا دينونة ما لم تكون هناك توبة، وانكسار قلب أمام الله، واعتراف بالخطايا، وتحول إلى المسيح الذي كانوا قد رفضوه.

عندما سيأتي الرب يسوع في السحاب، في نار ملتهبة، فإنه سيُلقي حكماً قضائياً على أولئك الذين أخطأوا بدون معرفة بالمسيح؛ ولكن سيصبّ غضباً أشدّ كثافةً على أولئك الذين خطئوا ضد النور والمعرفة التي أعطاهم الله للبشر فيما يتعلق بابنه الحبيب. "ونقرأ بأنهم "سَيُعَاقَبُونَ بِهَلاَكٍ أَبَدِيٍّ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ وَمِنْ مَجْدِ قُوَّتِهِ". يا لها من كلمات مهيبة جليلة! يا له من تحذير مريع يعطيه الله للبشر لكيما يواجهوا مسألة إثمهم ويرتدوا إلى الله في توبةٍ. إن هذه الكلمات هي كمثل إشارات سكة الحديد التي غالباً ما نراها والتي تقول "توقف. انظر. اسمع". كم من المحزن أن يجد المرء نفسه في خطيئة "مَتَى جَاءَ لِيَتَمَجَّدَ فِي قِدِّيسِيهِ وَيُتَعَجَّبَ مِنْهُ فِي جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ. لأَنَّ شَهَادَتَنَا عِنْدَكُمْ صُدِّقَتْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ". كم سيكون الانفصال عظيماً عندئذ!: فأولئك الذين تجمعوا حول المسيح الذي آمنوا برسالته، واتخذوه مخلصاً لهم، وقدموا شهادة لأجله على الأرض، ولكن أُسِيءَ فهمهم واُضطهدوا من أجل اسمه– هؤلاء سيبتهجون معه في يوم قوته ذاك. من جهة أخرى، إن أولئك الذين ازدروا بحنو محبته سيختبرون فداحة ودينونة الجزاء المروعة في ذلك اليوم.

في ختام الأصحاح لدينا صلاة الرسول بولس لأجل هؤلاء المسيحيين القديسين. لعلّنا نستخدم تلك التعابير نفسها في صلواتنا ونتلفظ بها على شفاهنا لكيما نحصل على النعمة إن سلكنا بحسبها: "الأَمْرُ الَّذِي لأَجْلِهِ نُصَلِّي أَيْضاً كُلَّ حِينٍ مِنْ جِهَتِكُمْ: أَنْ يُؤَهِّلَكُمْ إِلَهُنَا لِلدَّعْوَةِ، وَيُكَمِّلَ كُلَّ مَسَرَّةِ الصَّلاَحِ

وَعَمَلَ الإِيمَانِ بِقُوَّةٍ". إنه امتياز أن يُسمح لنا بالسير معه عبر عالم يرفضه؛ إنه امتياز أن نسمع اسمه عندما يلاقي ذلك الاسم الازدراء والامتعاض من قِبَلِ غير الأتقياء وغير المؤمنين. كم نظر كثيرون منا إليه على أنه امتياز لكيما نُحسبَ جديرين أو مؤهلين بهذه الدعوة؟ وإذ تتزايد محبتنا تكون هناك قوة متزايدة في الحياة للشهادة للمسيح ولتمجيده. "لِكَيْ يَتَمَجَّدَ اسْمُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ فِيكُمْ، وَأَنْتُمْ فِيهِ، بِنِعْمَةِ إِلَهِنَا وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ".

هذا هو سبيل المسيحي في أن يتوقع الرفض والنبذ إذ يسير خلال العالم وفي ذهنه توقع وصورة عن الفرح مع المسيح عند عودته؛ أما بالنسبة لغير المُخَلَّصين فما من شيء إلا الدينونة في ذلك اليوم ستنتظرهم، وذلك عندما سيُعتَلن الرب يسوع من السماء في لهيب نار، فينتقم من أولئك الذين لم يعرفوا الله ولم يطيعوا إنجيله.

الخطبة الثانية

بزوغ المسيح الدجال

"ثُمَّ نَسْأَلُكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ مِنْ جِهَةِ مَجِيءِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَاجْتِمَاعِنَا إِلَيْهِ، أَنْ لاَ تَتَزَعْزَعُوا سَرِيعاً عَنْ ذِهْنِكُمْ، وَلاَ تَرْتَاعُوا، لاَ بِرُوحٍ وَلاَ بِكَلِمَةٍ وَلاَ بِرِسَالَةٍ كَأَنَّهَا مِنَّا: أَيْ أَنَّ يَوْمَ الْمَسِيحِ قَدْ حَضَرَ. لاَ يَخْدَعَنَّكُمْ أَحَدٌ عَلَى طَرِيقَةٍ مَا، لأَنَّهُ لاَ يَأْتِي إِنْ لَمْ يَأْتِ الارْتِدَادُ أَوَّلاً، وَيُسْتَعْلَنَ إِنْسَانُ الْخَطِيَّةِ، ابْنُ الْهَلاَكِ، الْمُقَاوِمُ وَالْمُرْتَفِعُ عَلَى كُلِّ مَا يُدْعَى إِلَهاً أَوْ مَعْبُوداً، حَتَّى إِنَّهُ يَجْلِسُ فِي هَيْكَلِ اللهِ كَإِلَهٍ مُظْهِراً نَفْسَهُ أَنَّهُ إِلَهٌ. أَمَا تَذْكُرُونَ أَنِّي وَأَنَا بَعْدُ عِنْدَكُمْ كُنْتُ أَقُولُ لَكُمْ هَذَا؟ وَالآنَ تَعْلَمُونَ مَا يَحْجِزُ حَتَّى يُسْتَعْلَنَ فِي وَقْتِهِ. لأَنَّ سِرَّ الإِثْمِ الآنَ يَعْمَلُ فَقَطْ، إِلَى أَنْ يُرْفَعَ مِنَ الْوَسَطِ الَّذِي يَحْجِزُ الآنَ، وَحِينَئِذٍ سَيُسْتَعْلَنُ الأَثِيمُ، الَّذِي الرَّبُّ يُبِيدُهُ بِنَفْخَةِ فَمِهِ، وَيُبْطِلُهُ بِظُهُورِ مَجِيئِهِ. الَّذِي مَجِيئُهُ بِعَمَلِ الشَّيْطَانِ، بِكُلِّ قُوَّةٍ، وَبِآيَاتٍ وَعَجَائِبَ كَاذِبَةٍ، وَبِكُلِّ خَدِيعَةِ الإِثْمِ، فِي الْهَالِكِينَ، لأَنَّهُمْ لَمْ يَقْبَلُوا مَحَبَّةَ الْحَقِّ حَتَّى يَخْلُصُوا. وَلأَجْلِ هَذَا سَيُرْسِلُ إِلَيْهِمُ اللهُ عَمَلَ الضَّلاَلِ، حَتَّى يُصَدِّقُوا الْكَذِبَ، لِكَيْ يُدَانَ جَمِيعُ الَّذِينَ لَمْ يُصَدِّقُوا الْحَقَّ، بَلْ سُرُّوا بِالإِثْمِ. وَأَمَّا نَحْنُ فَيَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَشْكُرَ اللهَ كُلَّ حِينٍ لأَجْلِكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ الْمَحْبُوبُونَ مِنَ الرَّبِّ، أَنَّ اللهَ اخْتَارَكُمْ مِنَ الْبَدْءِ لِلْخَلاَصِ، بِتَقْدِيسِ الرُّوحِ وَتَصْدِيقِ الْحَقِّ. الأَمْرُ الَّذِي دَعَاكُمْ إِلَيْهِ بِإِنْجِيلِنَا، لاقْتِنَاءِ مَجْدِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ. فَاثْبُتُوا إِذاً أَيُّهَا الإِخْوَةُ وَتَمَسَّكُوا بِالتَّعَالِيمِ الَّتِي تَعَلَّمْتُمُوهَا، سَوَاءٌ كَانَ بِالْكَلاَمِ أَمْ بِرِسَالَتِنَا. وَرَبُّنَا نَفْسُهُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ، وَاللهُ أَبُونَا الَّذِي أَحَبَّنَا وَأَعْطَانَا عَزَاءً أَبَدِيّاً وَرَجَاءً صَالِحاً بِالنِّعْمَةِ، يُعَزِّي قُلُوبَكُمْ وَيُثَبِّتُكُمْ فِي كُلِّ كَلاَمٍ وَعَمَلٍ صَالِحٍ" (٢ تسالونيكي ٢:١- ١٢).

إذ نباشر بالدراسة المتمعنة للخيط الخاص للحقيقة التي تُستحضر أمامنا في هذا الأصحاح فإننا نحتاج من جديد إلى أن نذكّر أنفسنا بأن الموضوع البارز الواضح الهام في الرسالة الأولى هو مجيء الرب يسوع المسيح ليلاقي خاصته قبل فترة الدينونات المريعة تلك التي ستأتي إلى الأرض، والتي أُشير إليها في العهد القديم على أنها "يوم الرب"، "وقت الضرِّ أو (وقت الشر)"، و"وقت ضيقٍ على يعقوب". يُشير ربنا يسوع إلى هذه الأحداث على أنها "الضيق العظيم". لقد كان المؤمنون التسالونيكيون يتطلعون بشوق إلى ظهور الرب. لقد كان هذا المظهر من مجيئه هو الذي خلق أكبر انطباع وأعمق انطباع في قلوبهم. لقد كانوا يتوقون لعودته إلى الأرض ليُنفّذ الدينونة على الأشرار، وليؤسس ملكوته في مشهد هذا العالم حيث كان قد رُفض وصُلب. في رسالته الأولى، يرينا بولس أنه سيأتي (المسيح) أولاً في الهواء من أجل قديسيه.

يكون للمؤمنين أحياناً ذكريات ضعيفة جداً، وهؤلاء التسالونيكيون يبدو أنهم قد نَسوا هذه الحقيقة التي حاول بولس كثيراً أن يجعلها واضحة بالنسبة لهم. عندما وجدوا أنفسهم يمضون خلال فترة من الاضطهادات المريرة والضيقات بدأوا يتساءلون إذا ما كان يوم الرب قد بدأ: أي اعتقدوا أنهم قد دخلوا تواً في فترة الضيقة العظيمة. لقد تَعَاموا كلياً عن رؤية الحقيقة التي كُشفت لهم والتي تتعلق باختطاف الكنيسة أولاً. يبدو أن أحدهم قد ضللهم إلى الاعتقاد بأنهم قد دخلوا إلى آلام مخاض ذلك

الزمان من غضب الله (يهوه). من المفترض أنه تأكد لهم أن إعلاناً خاصاً من الله قد أُعطيَ فيما يتعلق بهذا الأمر، وقد انخدع كثير من الأخوة بهذه المسألة. يبدو أيضاً وكأن أحدهم قد لفَّق أو زوّر رسالة باسم الرسول بولس، وفيها أوضح بشكل محدد قاطع بأن يوم الرب قد بدأ حقاً، وأن الكنيسة كانت لتمر خلال الضيقة العظيمة. فلتصويب هذه المسألة كتب الرسول بولس هذه الرسالة الثانية. في الأصحاح الأول، كما رأينا، أوضح (بولس) حقيقة أن دينونة الرب ستحدث عند استعلانه وذلك عِنْدَما "سيستعلن مِنَ السَّمَاءِ مَعَ مَلاَئِكَةِ قُوَّتِهِ، فِي نَارٍ لَهِيبٍ، مُعْطِياً نَقْمَةً لِلَّذِينَ لاَ يَعْرِفُونَ اللهَ وَالَّذِينَ لاَ يُطِيعُونَ إِنْجِيلَ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ". والمؤمنون في دهر الكنيسة هذا سوف "نُخْطَفُ جَمِيعاً مَعَهُمْ فِي السُّحُبِ لِمُلاَقَاةِ الرَّبِّ فِي الْهَوَاءِ"، قبل ذلك، ولكننا سنظهر معه في المجد عندما سينزل على هذه الصورة المرسومة هنا.

في القسم الحالي يركز الرسول بولس على هذا، ويؤكد على حقيقة أن يوم الرب لا يمكن أن يبدأ بينما الكنيسة ما تزال على الأرض. إنه يقول: "نَسْأَلُكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ مِنْ جِهَةِ مَجِيءِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَاجْتِمَاعِنَا إِلَيْهِ، أَنْ لاَ تَتَزَعْزَعُوا سَرِيعاً عَنْ ذِهْنِكُمْ، وَلاَ تَرْتَاعُوا، لاَ بِرُوحٍ وَلاَ بِكَلِمَةٍ وَلاَ بِرِسَالَةٍ كَأَنَّهَا مِنَّا: أَيْ أَنَّ يَوْمَ الْمَسِيحِ قَدْ حَضَرَ". سيذكّرهم بأن رجاءنا هو بأن نجتمع معاً إلى الرب، وذلك قبل أن تقع هذه الدينونات على الأرض. ورغم أن البعض قد ادّعى أنه يتكلم بالروح، أو أنه قد اكتشف هكذا تعليم في الكلمة، أو حتى أنه تلقى رسالة ما منه تؤكد ذلك، إلا أنهم ما كانوا ليلقوا بالاً إلى النظرية التي تقول بأنهم كانوا يدخلون فترة الضيقة العظيمة.

"يوم المسيح" هو ترجمة خاطئة. إن المخطوطة الأكثر موثوقية تورد القول "يوم الرب" إن العبارتين تدلان إلى حدثين مختلفين. "يوم المسيح" هو يوم الاستعلان عندما سيتلقى المؤمنون مكافآت عند كرسي الدينونة الذي للمسيح. هذا سيكون مباشرة بعد الاختطاف. أما "يوم الرب"، كما حاولنا أن نوضح، فهو اليوم الذي ستنهمر فيه أحكام يهوه القضائية ودينوناته، والتي تبلغ ذروتها في المجيء الحرفي الواقعي للرب يسوع إلى هذا العالم حيث سيؤسس ملكوت الله في المجد المستعلن. إن يوم المسيح هو دائماً وشيك الحدوث. ليس من علامات لكي ننظر إليها: علينا أن ننتظر الابن من السماء، هذا الذي سيعود في أي وقت. ولكن ذلك اليوم الذي نقرأ عنه هنا لا يشير إلى هذا الحدث الهام والمجيد، بل إلى المرحلة التالية من مجيء المسيح الثاني (ثانية) وتلك الأحكام القضائية التي ستسبقه مباشرة.

على نحو ثابت تقريباً عندما يُنادى على الكنيسة لكي تدخل في زمنٍ من المعاناة الكبيرة، ينبري أشخاص يقفزون إلى الاستنتاج بأنها ولا بدّ بداية "سَاعَةِ التَّجْرِبَةِ الْعَتِيدَةِ أَنْ تَأْتِيَ عَلَى الْعَالَمِ كُلِّهِ لِتُجَرِّبَ السَّاكِنِينَ عَلَى الأَرْضِ". في جيلنا ذاته مررنا بحربين عالميتين، وفي كلٍ من هذين الصراعين المريعين والمرعبين، أتت معاناة شديدة على جزء كبير من الكنيسة المعترفة بالمسيح. وتبع ذلك أن كثير من المعلمين قد بدأوا يؤكدون بأننا ندخل فترة الضيقة العظيمة. اعتقد البعض أن الكنيسة يجب أن تمر بكل فترة الضيقة والتي هي، بحسب سفر دانيال، ستحدث في الأسبوع السبعين الأخير وغير المكتمل من النبوءة العظيمة الواردة في الأصحاح ٩. هذه الفترة المؤلفة من سبعة أسابيع تُقسم في الكتاب المقدس إلى فترتين:

إنها كل زمن الضيقة، ولكنّ السنوات الثلاث ونصف الأولى ستكون مخصصة لدينونة تمهيدية ومقررة من لَدُن العناية الإلهية على نطاق واسع؛ أما السنوات الثلاث ونصف الأخيرة فتغطي فترة الضيقة الأصلية العظيمة عندما سينّصب غضب الحمل وغضب الله على العالم، والشيطان نفسه سيُطرح من السماء، وبه غضب عظيم. البعض، الذي يدرك بأن الكنيسة ستخلص من الغضب، لا يمكنه أن يعتقد بالفكرة القائلة بأنها (الكنيسة) ستمضي عبر كل فترة الأسابيع السبعين من الدينونة، ومع ذلك فقد اعتقدوا وعلّموا أنها ستذهب على الأقل في النصف الأول من الأسبوع. على كل حال، هذا سيشتمل على مجموعتين من القديسين على الأرض في نفس الوقت: الجماعة السماوية، ألا وهي الكنيسة التي هي جسد المسيح، وبقية إسرائيل الذي سيتجمّع خارجاً من الشعب المرتد في بداية تلك الفترة. هذا أمر مقبول معقول إذا تمعن الإنسان في الكتاب المقدس بما يتعلق بكل مجموعة أو فئة. إن الله لديه اختيار سماوي وأرضي بآن معاً. فعلى سبيل المثال، في حديث ربنا النبوي العظيم الذي دونه متى، الأصحاح ٢٤: المختارون الذين سيتجمعون من كل الأمم عندما سيرتل ليؤسس ملكوته، هم إسرائيل؛ وأولئك الأُمميّون سيأتون من الضيقة العظيمة، وقد غسلوا ثيابهم وبيّضوها بدم الحمل. إن المختارين من الرسل هم جماعة سماوية ألا وهم الكنيسة المؤلفة من الأبكار الذين أسماؤهم مكتوبة في السماء.

علينا نحن المسيحيين أن ندرك أن لنا رجاءً سماوياً حقاً. علينا ألا ننشغل بأحداث وظروف الحياة هنا على الأرض، بل علينا أن نترقب الرب المبارك نفسه أن ينتزعنا من الغضب الآتي.

إن يوم الرب لا يمكن أن يبدأ إلى أن يحدث هذا. لذلك يقول الرسول: "نَسْأَلُكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ مِنْ جِهَةِ مَجِيءِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَاجْتِمَاعِنَا إِلَيْهِ، أَنْ لاَ تَتَزَعْزَعُوا سَرِيعاً عَنْ ذِهْنِكُمْ، وَلاَ تَرْتَاعُوا، لاَ بِرُوحٍ وَلاَ بِكَلِمَةٍ وَلاَ بِرِسَالَةٍ كَأَنَّهَا مِنَّا: أَيْ أَنَّ يَوْمَ الْمَسِيحِ قَدْ حَضَرَ". لقد نوّهنا للتو بأن ذلك يجب أن يكون "يوم الرب" وفي الواقع إن الفكرة التي كانت في أذهانهم هي أن يوم الرب كان قد بدأ لتوه آنذاك.

يقول بولس: "لأَنَّهُ لاَ يَأْتِي (ذلك اليوم) إِنْ لَمْ يَأْتِ الارْتِدَادُ أَوَّلاً، وَيُسْتَعْلَنَ إِنْسَانُ الْخَطِيَّةِ، ابْنُ الْهَلاَكِ". إن إنسان الخطيئة، بلا شك، هو نفسه المسيح الدجال (ضد المسيح) بالذات الذي يتكلم عنه الرسول يوحنا في رسائله، والمعروف أيضاً على أنه الملك الذي "سيعمل حسب مشيئة نفسه" كما تقول النبوءة العظيمة في سفر دانيال.

إن يوم الرب لا يمكن أن يأتي إلى أن يُستَعلَن هذا؛ ولن يُستَعلَن قبل الاختطاف. ولكن بعد أن تُختطف الكنيسة فعندها يكون ارتداد العالم المسيحي واليهودية قد اكتمل: الحشد الواسع من المعترفين غير المهتدين المتبقين على الأرض سيُلقون عنهم كل إدعاء بالإخلاص أو الموالاة للمسيح ولله. هذا سيكون السقوط الكامل أو الارتداد، الذي سيكون استعداداً لاقتبال المسيح الدجال. "الْمُقَاوِمُ وَالْمُرْتَفِعُ عَلَى كُلِّ مَا يُدْعَى إِلَهاً أَوْ مَعْبُوداً، حَتَّى إِنَّهُ يَجْلِسُ فِي هَيْكَلِ اللهِ كَإِلَهٍ مُظْهِراً نَفْسَهُ أَنَّهُ إِلَهٌ". ولذلك فإننا لا نجد تعليماً يفيد بأن ننتظر بزوغ هذا الشخص الشرير الذي يحتل مكاناً كبيراً في تلك النبوءات التي تتعلق بالأيام الأخيرة. عندما سيتجمع إسرائيل في الأرض في حالة عدم إيمان، فإن كلمات الرب يسوع، التي قالها عندما كان هنا

على الأرض من قبل، سوف تتحقق. لقد قال: "أَنَا قَدْ أَتَيْتُ بِاسْمِ أَبِي وَلَسْتُمْ تَقْبَلُونَنِي. إِنْ أَتَى آخَرُ بِاسْمِ نَفْسِهِ فَذَلِكَ تَقْبَلُونَهُ" (يوحنا ٥: ٤٣). هذا الذي يأتي باسْمِ نَفْسِه هو ابن الخطيئة، وابن الهلاك. من الواضح أن إنسان الخطيئة هذا سيعلن نفسه على أنه تجسدٌ لله؛ سيرفع نفسه فوق الله أو المعبود. والهيكل الذي سيجلس فيه ابن الخطيئة هذا سيكون ذاك الذي سيبنيه العبرانيون العائدون في أرض كنعان. فالمسيح الدجال سيأخذ مكانه هناك، وستتحول إليه العبادة التي تخص الله وحده وحسب.

لقد أشرتُ لتوي إلى نبوءة دانيال، ولكن سأقتبس هنا هذا المقطع عن المسألة: "وَيَفْعَلُ الْمَلِكُ كَإِرَادَتِهِ وَيَرْتَفِعُ وَيَتَعَظَّمُ عَلَى كُلِّ إِلَهٍ وَيَتَكَلَّمُ بِأُمُورٍ عَجِيبَةٍ عَلَى إِلَهِ الآلِهَةِ وَيَنْجَحُ إِلَى إِتْمَامِ الْغَضَبِ لأَنَّ الْمَقْضِيَّ بِهِ يُجْرَى. وَلاَ يُبَالِي بِآلِهَةِ آبَائِهِ وَلاَ بِشَهْوَةِ النِّسَاءِ وَبِكُلِّ إِلَهٍ لاَ يُبَالِي لأَنَّهُ يَتَعَظَّمُ عَلَى الْكُلِّ" (دانيال ١١: ٣٦، ٣٧). هذا الملك الغامض سيكون يهودياً. ونعرف ذلك من حقيقة أنه يُقال بأنه لن يبالي بإله آبائه. في الكتاب المقدس هذا يُشير بشكل ثابت لا يتغير إلى إله إبراهيم، وإله اسحق، وإله يعقوب. إن العبارة "شهوة النساء" تشير بدون شك إلى المسيّا نفسه. كل امرأة يهودية كانت تأمل أن تكون أم مخلّص إسرائيل. ولذلك فإن إنسان الخطيئة سيكون ابناً لوالدين يهوديين؛ وسيُقدم نفسه لإسرائيل على أنه تجلٍّ لله في الجسد، أي مسيّا الذي كانوا ينتظرونه.

من الواضح أن بولس كان قد أُعطي تعليماً محدداً معيناً يتعلق بهذا عندما كان في تسالونيكي، إذ يقول: "أَمَا تَذْكُرُونَ أَنِّي وَأَنَا بَعْدُ عِنْدَكُمْ كُنْتُ أَقُولُ لَكُمْ هَذَا؟" (٢ تسا ٢: ٤). بالطبع خلال الفترة القصيرة التي قضاها في تلك المدينة لم يكن يستطيع أن يجعل كلَّ شيئاً واضحاً، وحتى لو أنه فعل ذلك، فإن الكثير من الأشياء سوف تُنسى. عندما طرأت ظروف ملأت نفوسهم بالخوف والفزع أصبحوا منشغلين بهذه الأحوال جداً حتى أنهم فقدوا الرجاء بعودة المسيح نفسه ليأخذ شعبه قبل أن تبدأ الدينونات.

في الآيات التي تلي ذلك يوضح الرسول بولس شيئاً لهؤلاء المسيحيين التسالونيكيين على كل مؤمن أن يفهمه، ومع ذلك فقد كان يُساء فهمه من قِبَل تلاميذ ومعلمين كثيرين يدرسون النبوءات. إنه يقول: "وَالآنَ تَعْلَمُونَ مَا يَحْجِزُ حَتَّى يُسْتَعْلَنَ فِي وَقْتِهِ. لأَنَّ سِرَّ الإِثْمِ الآنَ يَعْمَلُ فَقَطْ، إِلَى أَنْ يُرْفَعَ مِنَ الْوَسَطِ الَّذِي يَحْجِزُ الآنَ". هذه الآيات مثال آخر عن تغير معاني الكلمات عبر القرون. إن كلمة "يحجز" تعني "يعيق" ولكنها لم تكن تعني كذلك عند ترجمة الكتاب المقدس. ما يريد الرسول بولس أن يقوله حقاً هو ما يلي: "أنتم تعرفون أن ما يعيق و يحجز يمكن أن يُكشف عنه في زمنه نفسه. إذ أن سر الإثم يعمل الآن: وهناك واحدٌ فقط هو الذي يعيق، إلى أن يُزاح من الطريق". لاحظوا أنه يفترض أنهم يجب أن يعرفوا "ذاك الذي يحجز أو يعيق". افترض البعض أنه كان يشير إلى الإمبراطورية الرومانية التي يكون قد أخبر التسالونيكيين سراً أو بشكل شخصي عن سقوطها الذي كان سيحدث قبل المجيء الثاني للمسيح. وقد قيل أنه حكى عن ذلك بطريقة مُلغزة، لأنه إن أوضح تعليمه فيما يتعلق بهذه المسألة فسيعرّض نفسَه والمسيحيين الآخرين للخطر، إذ سيكونون موضع ارتياب من قِبَل السلطات الحاكمة. واعتقد آخرون أنه كان يشير إلى حكومةٍ محافظة على النظام. بمعنى أنها دولة ذات مجتمع مثالي ستسود في كل أرجاء العالم قبل

اعتلان المسيح الدجال و ظهور الرب من السماء. ولكن يبدو أن كل هذه التخمينات لا حاجة لهـا، لأن بولس كان يكتب ليس فقط لأولئك التسالونيكيين أو مؤمنين آخرين يحيون في ذلك الزمان، بـل أيضـاً للمسيحيين حتى نهاية هذه الحقبة التدبيرية. إنه يتحدث إلينا جميعاً عندما يقول: "تَعْلَمُونَ مَا يَحْجِزُ". دعوني أوضح المسألة بشكل واضح محدد: يا عزيزي القارئ هل أنت مسيحي؟ إن كنت كذلك، فلا بد لـك أن تعرف من يحجز الاستعلان الكامل للأثيم، هل تعرفه؟ لقد طرحْتُ هذه المسألة على جمهور مسيحي عـدة مرات، ولم أُخفق أبداً بأن أحصل على الجواب. نعم إن الروح القدس هو الذي يحجز. هذا هو بالضبط ما تنبئنا به الآية في (أشعياء ٥٩: ١٩): "عِنْدَمَا يَأْتِي الْعَدُوُّ كَنَهْرٍ فَنَفْخَةُ الرَّبِّ تَدْفَعُهُ". أو كما تُرجِمَتْ أيضاً: "روح الرب سوف يحجزه". إن الروح القدس هو في العالم، يعمل في ومن خلال كنيسة الله؛ إنـه يقـيم في كل مؤمن فردياً، وفي الكنيسة جماعياً؛ ولذلك، طالما أن كنيسة الله في العالم فإن المسيح الدجال سوف لـن يُظهر. وبالطبع، كما يخبرنا الرسول يوحنا: "قَدْ صَارَ الآنَ أَضْدَادٌ لِلْمَسِيحِ كَثِيرُونَ". إن كل مـن ينكـر الآب والابن هو ضد الله. ولكننا نتحدث هنا عن إنسان الخطيئة، إنسان الهلاك، ذاك الذي يـأتي باسمـه، رئيس الكذابين الذي سيظهر في نهاية الدهر. وهذا لن يُستَعلَن طالما أن روح الله هو في العالم. لقـد جـاء ليقيم مع الكنيسة إلى الأبد. ولذلك فطالما أن الكنيسة هي هنا فهو أيضاً سـيكون هنـا، ولكـن عنـدما تُختطف الكنيسة لتكون مع الرب فعندها روح الله لن يعود في هذا العالم بالمعنى الذي كان به هنا خـلال الحقبة المسيحية. أحياناً نرنم قائلين:

"الروح القدس يقود العروس

إلى ديار الحمل".

كمثل خادم إبراهيم، جاء روحُ قدس الله إلى هذا البلد البعيد ليجد عروساً للابن. إنه هو الـذي يعمل في قلوب الرجال والنساء، ويقودهم إلى المسيح. عندما يكون عمله قد اكتمل سيصعد مع الكنيسـة "وَحِينَئِذٍ سَيُسْتَعْلَنُ الأَثِيمُ، الَّذِي الرَّبُّ يُبِيدُهُ بِنَفْخَةِ فَمِهِ، وَيُبْطِلُهُ بِظُهُورِ مَجِيئِـهِ. الَّـذِي مَجِيئُـهُ بِعَمَـلِ الشَّيْطَانِ، بِكُلِّ قُوَّةٍ، وَبِآيَاتٍ وَعَجَائِبَ كَاذِبَةٍ، وَبِكُلِّ خَدِيعَةِ الإِثْمِ، فِي الْهَالِكِينَ، لأَنَّهُمْ لَمْ يَقْبَلُـوا مَحَبَّـةَ الْحَقِّ حَتَّى يَخْلُصُوا". هذا المتمرّد الذي يُنصّب نفسه مدعياً أنه تجسدٌ لله سوف يقع عليه القضـاء الإلهـي بنحو خاص؛ سيُهلكه الرب نفسه عندما يعود في قوة ومجد. ونعلم من سفر الرؤيا أنه سيُلقى حياً في بحـيرة النار. خلال الوقت القصير الذي سيتمتع به بقوة على الأرض سوف يخدع الأممَ بكل طريقة ممكنـة عـن طريق المعجزات الزائفة والعجائب الكاذبة. يقول يسوع أنه ربما تنخدع النخبة نفسها لو كان ذلك ممكناً؛ ولكن، الحمد لله، هذا ليس أمراً ممكناً: فهم لا يعرفون صوت الغرباء، بل سيسـمعون صـوت الراعـي الصالح. إن أولئك الذين لن يتلقوا محبة الحقيقة لكي يخلصوا ليسوا من سيُبْعدهم المسيح الدجال عن طريق الدعاية التي سينشرها: في الحقيقة، إن الله نفسه، بقضاء عادل، هو من سيُسْلِمُهم له. نقرأ في الآيـتين ١١، ١٢: "وَلأَجْلِ هَذَا سَيُرْسِلُ إِلَيْهِمُ اللهُ عَمَلَ الضَّلاَلِ، حَتَّى يُصَدِّقُوا الْكَذِبَ، لِكَيْ يُدَانَ جَمِيعُ الَّـذِينَ لَـمْ يُصَدِّقُوا الْحَقَّ، بَلْ سُرُّوا بِالإِثْمِ"– وقد نقرأ: "لكي يُصَدِّقُوا الْكذبة"– الكذبة بأن إنسان الخطيئة هو مسيح

الله. هذا إعلان مُهيب بالفعل بالنسبة لأولئك الذين يسمعون الإنجيل في يومنا ويرفضونه بشكل واضح. إنه يُخبرنا بأنهم إذا ما وُجِدُوا في تلك الحالة عندما يحدث اختطاف الكنيسة ويمرّون إلى الفترة الجديدة الأخيرة من الضيقة، فسوف لن يكون هناك رجاء بعودتهم إلى المسيح في ذلك اليوم، بل سيؤمنون بتلك الأكذوبة وهكذا سوف يُدانون مع كل أولئك الذين يكونون قد ارتدوا عن الحق.

ما من شك بأن كثيرين منكم أنتم غير المخلَّصين هم أبناء لوالدين مسيحيين. لقد سمعتم باسم المسيح طوال حياتكم؛ ومع ذلك لم تقرروا إتباع المسيح بشكل واضح محدد. إن كان ليسوع أن يأتي اليوم ستكونون من بين الجماعة الذين سيُلاقون المسيح الدّجال. قد تقولون "مستحيل! فقد تعلّمتُ أشياء كثيرة عن هذا؛ وسمعتُ الإنجيل مرات كثيرة جداً. لقد تعلمتُ الخطوط الرئيسية الهامة في النبوءة، وأعرف شيئاً من البرنامج الإلهي. سوف لن أنخدع بتلك الطريقة. سوف أتحول مباشرة إلى الرب بعد أن تخرج خاصته من العالم، وهكذا سوف أكون مستعداً لأرحّب به في ظهوره المجيد". لا؛ بحسب كلمة الله، هذا لن يكون حقيقياً. إن رفضتَ المسيح الآن سوف لن تكون لديك رغبة في أن تقبله في ذلك اليوم الذي سيأتي. إنك في الوضع الأكثر خطورة الذي يمكن لأي أحد أن يكون عليه. تقول كلمةُ الرب: "اَلْكَثِيرُ التَّوَبُّخِ الْمُقَسِّي عُنُقَهُ بَغْتَةً يُكَسَّرُ وَلاَ شِفَاءَ" (أمثال ٢٩: ١). من بين أكثر الجنائز حزناً في نفسي، والتي وجب علي أن أواكبها في حياتي، هي تلك الجنازات التي كانت لشبان وشابات كانوا أعضاء في عائلات مسيحية، وكان الآخرون يتوسلون إليهم معظم الأحيان أن يأتوا إلى المسيح؛ ولكنهم مضوا في حالة اللا مبالاة، وهم يتوقعون أنه ستسير الأمور على ما يرام في النهاية. ثم فجأة توافيهم المنية، ربما من جراء حادث، ويمضون إلى الأبدية دون أن يتركون أيّة شهادة. أيُّها الشبان والشابات، أناشدكم، لا تتركوا يوماً آخر يمر دون أن تأتوا إلى المسيح، لئلا يجدكم المستقبل القريب وإلى الأبد وراء كل أمل أو رجاء بالرحمة. لقد أعطاكم الله الفرصة لتؤمنوا بالحق. لقد أظهر كلمته، ولكن إن أشحتم بوجهكم عن تلك الحقيقة ورفضتم أن تؤمنوا بالإنجيل، فعندها الله نفسه قد يُسلِمُكم إلى الدينونة الجزائية لأنكم آمنتم بأكذوبة إنسان الخطيئة وصرتم ضالّين إلى الأبد.

الخطبة الثالثة

عَزَاءً أَبَدِيّا

"وَأَمَّا نَحْنُ فَيَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَشْكُرَ اللهَ كُلَّ حِينٍ لأَجْلِكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ الْمَحْبُوبُونَ مِنَ الـرَّبِّ، أَنَّ اللهَ اخْتَارَكُمْ مِنَ الْبَدْءِ لِلْخَلاَصِ، بِتَقْدِيسِ الرُّوحِ وَتَصْدِيقِ الْحَقِّ. الأَمْرُ الَّذِي دَعَاكُمْ إِلَيْهِ بِإِنْجِيلِنَـا، لاقْتِنَـاءِ مَجْدِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ. فَاثْبُتُوا إِذاً أَيُّهَا الإِخْوَةُ وَتَمَسَّكُوا بِالتَّعَالِيمِ الَّتِي تَعَلَّمْتُمُوهَا، سَوَاءٌ كَانَ بِالْكَلاَمِ أَمْ بِرِسَالَتِنَا. وَرَبُّنَا نَفْسُهُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ، وَاللهُ أَبُونَا الَّذِي أَحَبَّنَا وَأَعْطَانَا عَزَاءً أَبَدِيّاً وَرَجَاءً صَـالِحاً بِالنِّعْمَـةِ، يُعَزِّي قُلُوبَكُمْ وَيُثَبِّتُكُمْ فِي كُلِّ كَلاَمٍ وَعَمَلٍ صَالِحٍ" (٢ تسالونيكي٢: ١٣– ١٧). لقد تحـدث الرسـول بولس عن الارتداد الذي سيحدث في الأيام الأخيرة، وعن مجيء إنسان الخطيئة عندما لا يعـود المعيـق أو الحاجز، الذي هو الروح القدس، يعمل على الأرض. إنه جدير بالملاحظة أنه عندئـذ ينـبري إلى تعزيـة القديسين بالتأكيد على أنهم موضع العناية الإلهية الخاصة. ويكتب لكل الذين وضـعوا إيمـانهم في الـرب يسوع المسيح فيقول: "وَأَمَّا نَحْنُ فَيَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَشْكُرَ اللهَ كُلَّ حِينٍ لأَجْلِكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ الْمَحْبُوبُـونَ مِـنَ الرَّبِّ، أَنَّ اللهَ اخْتَارَكُمْ مِنَ الْبَدْءِ لِلْخَلاَصِ، بِتَقْدِيسِ الرُّوحِ وَتَصْدِيقِ الْحَقِّ". هذه الكلمات تنطبـق علـى المسيحيين في كل مكان لأنهم جميعاً "إخوة محبوبون من الرب"، وكل واحد منهم قد اختاره الله منذ البـدء للخلاص. وهذا تحقق "بِتَقْدِيسِ الرُّوحِ وَتَصْدِيقِ الْحَقِّ". نقرأ في (رومية ٨: ٢٩): "لأَنَّ الَّذِينَ سَبَقَ فَعَرَفَهُمْ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ لِيَكُونُوا مُشَابِهِينَ صُورَةَ ابْنِهِ لِيَكُونَ هُوَ بِكْراً بَيْنَ إِخْوَةٍ كَثِيرِينَ". إذ نظر مُسبقاً عبر الأجيـال عرف الله مسبقاً جميع الذين سوف يضعون ثقتهم في الرب يسوع المسيح، لقد اختارهم ليكونون متـوافقين مع المسيح. إن كنت مؤمناً بالرب يسوع المسيح فأنت لست في حاجة أبداً لأن تقلق بخصوص انتخابـك. إن الحقيقة نفسها في أنك مؤمن، ومُفتَدىً بالمسيح، تؤكد لك أنك من بين من اختارهم الله.

لنلاحظ ثلاثة أشياء: لقد اختارك (الله) للخلاص بالتقديس. وهذا يعني أننا كنا نُسـتَحَثُّ لإدراك حالتنا الضّالة وحاجتنا لمخلِّصٍ وذلك عن طريق عمل الروح القدس المباشر؛ وهكذا كنا نُقاد إلى الإيمـان بالرب يسوع المسيح. إن التقديس بالروح هو العمل الأولي لله في النفس. عندما نؤمن بالإنجيل فإننا ننـالُ يقينَ الخلاص.

قال بولس لأهل رومية أنه كان خادم الله للأمم "لِيَكُونَ قُرْبَانُ الأُمَمِ مَقْبُـولاً مُقَدَّسـاً بِـالرُّوحِ الْقُدُسِ" (رومية ١٥: ١٦). قد يعظُ المرءُ بالكلمة بمزيد من الحرية والجرأة والقوة، ولكـن مـا لم يُطبِّـق الروحُ القدسُ الكلمةَ على القلوب، وينير الأذهان، ويحرك ضمائر المستمعين، فإنـه لـن يهتـدي ولا أي شخص. أما أولئك الذين يخلصون فيمكن أن يسترجعوا الماضي في ذهنهم ويتذكروا كيف بدأ عمل الروح القدس في نفوسهم. إننا نتذكر الوقت الذي كنا فيه مجرد أقسام وأجزاء في العالم المحيط بنا، وبعد ذلك جاء الاستيقاظ. ربما لم نفهم الأمر في البداية. وقد أصبحنا تعساء وخائبي الأمل؛ كانت هناك رغبة لشيء مـا لم نعرفه من قبل؛ وأصبحنا ندرك إثمنا وخطيئتنا، وصرخنا في قلوبنا من أجل التطهير والنقاوة– وذلك كـان التقديس بالروح القدس. هناك مثال واضح جميل على هذا في التكوين ١: ١، ٢ فنقرأ: "فِي الْبَدْءِ خَلَـقَ

اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالارْضَ". تلك الخليقة، كما نعلم من أشعياء ٤٥، كانت كاملة على نحو مطلق، مثل أي شيء آخر صنَعَتْه يدُ الله. ولكن في الآية الثانية نقرأ "وَكَانَتِ الارْضُ خَرِبَةً وَخَالِيَةً". أو كما يشعر معظم الدارسين للعبرية بأنه من الأفضل ترجمتها على الشكل "كانت الأرض بدون شكل وخالية". سواء كان لهذا علاقة بسقوط الملائكة أم لا، فإنه لا يمكننا أن نكون متأكدين، ولكن كارثة هائلة حدثت، وغاصت الأرض في الشواش. "وَعَلَى وَجْهِ الْغَمْرِ ظُلْمَةٌ". لقد كان مشهداً من الكآبة والإقفار. ثم نقرأ أن "رُوحُ اللهِ يَرِفُّ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ". إن الكلمة التي تُرجمت إلى "يرفّ" هنا، تُستخدم بمعنى الحضن، كالدجاجة التي تحضن البيض ليفقس. "رُوحُ اللهِ يَحضن عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ". هذا يوحي بأن الروح القدس يحضن الإنسان الساقط لكي يصل الله إليه فيخلص. إن الدجاجة التي تحضن البيض، ورغم أنها تبدو هادئة وهامدة، إلا أنها فعلياً في حركة دائمة، فكل عضلة فيها تهتز وترتعش. وهذا يُولّد الدفءَ الذي تحتاج إليه البيوض لتفقس. وهكذا نرى الروح القدس يحضن ويرف على وجه المياه، تهيؤاً لتنظيم الأرض لتكون مكان سكن مناسب للإنسان. هذا الروح القدس نفسه يقوم بعمل الحضن، عمل التقديس في قلب الخاطئ، وعندئذ، وعندما يشرق النور فيه، تخلص النفسُ. "وَقَالَ اللهُ: «لِيَكُنْ نُورٌ» فَكَانَ نُورٌ". وكانت هذه بداية النظام الجديد. "فَتْحُ كَلاَمِكَ يُنيرُ يُعَقِّلُ الْجُهَّالَ". ولكن ما من إنسان يرى النور إلى أن يوقظه الروح القدس من نومه.

إننا مختارون "لِلْخَلاَصِ بِتَقْدِيسِ الرُّوحِ وَتَصْدِيقِ الْحَقِّ". لاحظوا مقطعاً من رسالة بطرس الأولى: " بُطْرُسُ، رَسُولُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، إِلَى الْمُتَغَرِّبِينَ مِنْ شَتَاتِ بُنْتُسَ وَغَلاَطِيَّةَ وَكَبَّدُوكِيَّةَ وَأَسِيَّا وَبِيثِينِيَّةَ، الْمُخْتَارِينَ، بِمُقْتَضَى عِلْمِ اللهِ الآبِ السَّابِقِ، فِي تَقْدِيسِ الرُّوحِ لِلطَّاعَةِ، وَرَشِّ دَمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. لِتُكْثَرْ لَكُمُ النِّعْمَةُ وَالسَّلاَمُ". ماذا يريد أن يُخبرنا هنا؟ أن تقديس الروح يقودنا إلى إطاعة الإيمان التي تأتي بنا إلى رش دم يسوع المسيح. عندما نأخذ مكاننا بالإيمان تحت ذلك الدم المرشوش، فمثل إسرائيل في ليلة الفصح، نصبح في سلام وأمان مطلق. قال الله (يهوه" في العهد القديم): "أَرَى الدَّمَ وَأَعْبُرُ عَنْكُمْ" (خروج ١٢: ١٣).

هناك مقطع آخر ذو أهمية كبيرة نجده في ١كورنثوس ٦: ٩، ١٠. وهناك لدينا لائحة بأشخاص أشرار، كثيرون منهم فاسدون ونجسون جداً لدرجة أننا نكاد نشعر برغبة في أن نحجم عن قراءتها في حضور مختلط. "أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الظَّالِمِينَ لاَ يَرِثُونَ مَلَكُوتَ اللهِ؟ لاَ تَضِلُّوا! لاَ زُنَاةٌ وَلاَ عَبَدَةُ أَوْثَانٍ وَلاَ فَاسِقُونَ وَلاَ مَأْبُونُونَ وَلاَ مُضَاجِعُو ذُكُورٍ، وَلاَ سَارِقُونَ وَلاَ طَمَّاعُونَ وَلاَ سِكِّيرُونَ وَلاَ شَتَّامُونَ وَلاَ خَاطِفُونَ يَرِثُونَ مَلَكُوتَ اللهِ". ولكن الرسول بولس يضيف قائلاً: "وَهَكَذَا كَانَ أُنَاسٌ مِنْكُمْ. لَكِنِ اغْتَسَلْتُمْ بَلْ تَقَدَّسْتُمْ بَلْ تَبَرَّرْتُمْ بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ وَبِرُوحِ إِلَهِنَا". كان بعض الكورنثيين قد عاش هكذا حياة كما تصوّر هنا، ولكنهم تطهروا بتطبيق كلمة الله، وتقدسوا بالروح القدس وتبرروا باسم الرب يسوع. هذا هو الترتيب الذي يرد في الكتاب المقدس. إن كلمة الله تُعلن، تُسمع أو تُكتب، روح الله تُقدس– تُدين الخاطئ، وتأتي به إلى مكانٍ يرغب فيه بأن يَخلص، ويكون مستعداً لاقتبال المسيح. وإذ يؤمن بالإنجيل فإنه يتبرر بالإيمان.

دعوني أوجه كلمة إلى أولئك الذين يسعون لربح النفوس: لا تحاولوا أن تدفعوا الناس إلى الاعتراف بالمسيح على عجلة؛ لا تحاولوا أن تجعلوهم يقولون بأنهم قد خَلَصوا أو قد نالوا الخلاص. حاولوا أن تكتشفوا إذا ما كان هناك أي قلق حقيقي إزاء خطاياهم، وإذا ما كان روح الله قد أيقظهم. إن السبب في كون كثيرٍ من الناس يعترفون بالمسيحية ويقرون بإيمانهم بالمسيح في اجتماعات الإحياء الروحي، ثم بعد ذلك لا يلبثون أن ينحرفوا فيعودون إلى حياتهم السابقة، هو أنه ليس هناك عمل حقيقي لله في النفس. لم يتقدسوا بالروح القدس؛ ولم يعرفوا إدانة إلهية (أو تأنيباً على أعمالهم). إن أول اعتبار هو أن يُوقَظَ أو (يُنَبَّهَ) الناسُ لرؤية حاجتهم إلى المسيح. ثم أعطهم الإنجيل. هذا هو الترتيب الإلهي: التقديس بالروح الذي يقود إلى الإيمان بالحق (تصديق الحق). "الأَمْرُ الَّذِي دَعَاكُمْ إِلَيْهِ بِإِنْجِيلِنَا، لاقْتِنَاءِ مَجْدِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ". إن الهدف الذي من أجله يبعث الله بإنجيله إلى العالم هو أن يوقظ الروح القدس الناس ويقودهم إلى الإيمان به. عندما يؤمنون برسالة الإنجيل فإنه يمكن إدخال اليقين إلى قلوبهم باشتراكهم في نهاية الأمر في مجد ربنا يسوع المسيح. عندما يُولد الناس حقاً من جديد فإنهم سيمضون في الحياة المسيحية. ونسمع عن عدد كبير من المرتدين عن الإيمان. ولكن صدق أحدهم عندما قال بأن الكثيرين الذين يُعتبرون مرتدين هم أصلاً لم يهتدوا إلى المسيحية أبداً؛ في الرسالة إلى أهل فيلبي ١: ٦، نقرأ: "الَّذِي ابْتَدَأَ فِيكُمْ عَمَلاً صَالِحاً يُكَمِّلُ إِلَى يَوْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ".

"فَاثْبُتُوا إِذاً أَيُّهَا الإِخْوَةُ وَتَمَسَّكُوا بِالتَّعَالِيمِ الَّتِي تَعَلَّمْتُمُوهَا، سَوَاءٌ كَانَ بِالْكَلاَمِ أَمْ بِرِسَالَتِنَا". ما كانوا ليسمحوا لأي شيء بأن يحولهم عن الحقيقة التي أُعلنت لهم. لا تُسيئوا فهم ما يقوله الرسول بولس فيما يتعلق بالتقاليد. لم يُضِفْ بولسُ تقاليدَ بشرية إلى كلمة الرب؛ ولكنه كان قد أخبر هؤلاء التسالونيكيين أموراً محددة بكلمة فمه، وحثهم على "أن يتمسكوا بهذه التعاليم"، وأيضاً بتلك التي سُلِّمت إليهم مكتوبة. لم يَعُدْ لدينا اليومَ رسلٌ مُلْهَمون يعلنون لنا الكلمة. لم يَبْقَ لنا إلا الكلمة المكتوبة. ليس لنا حاجة إلى التقاليد: فلدينا الكتاب المقدس كاملاً. "كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحىً بِهِ مِنَ اللهِ، وَنَافِعٌ لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّوْبِيخِ، لِلتَّقْوِيمِ وَالتَّأْدِيبِ الَّذِي فِي الْبِرِّ، لِكَيْ يَكُونَ إِنْسَانُ اللهِ كَامِلاً، مُتَأَهِّباً لِكُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ" (٢ تيموثاوس ٣: ١٦، ١٧). عندما كان على الأرض، فإن ربنا قد أخبر الكتبة والفريسيين بأنهم قد جعلوا كلمة الله بدون فاعلية بسبب تقاليدهم. وهناك أناسٌ اليوم قد أضافوا الكثير من التقاليد البشرية إلى الكلمة وشوّشوا إخوتهم في الإيمان بشكل كامل. ولكن أولئك الذين يقدّرون ويجلّون الكتاب المقدس ليسوا بحاجة إلى تقاليد بشرية. هؤلاء التسالونيكيون أصغوا إلى الرسول (بولس) وتلقوا كلمته المكتوبة، وكانوا يُحضَّون على أن يتمسكوا بشدة بكل ما تلقوه. "وَرَبُّنَا نَفْسُهُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ، وَاللهُ أَبُونَا الَّذِي أَحَبَّنَا وَأَعْطَانَا عَزَاءً أَبَدِيّاً وَرَجَاءً صَالِحاً بِالنِّعْمَةِ"– إن العزاء الأبدي هو الراحة التي سنحصل عليها إلى الأبدية. ورجاؤنا لن يخيب– "يُعَزِّي قُلُوبَكُمْ وَيُثَبِّتُكُمْ فِي كُلِّ كَلاَمٍ وَعَمَلٍ صَالِحٍ". إننا لا نخلص بالأعمال الصالحة ولا بأية جهود أو تصرفات أو سلوك من عندنا؛ بل لأننا خلصنا بتقديس روح الله وتصديق الحق، فإننا مسئولين عن الثبات في الأعمال الصالحة. وهكذا نحلّي ونزيّن إنجيل المسيح.

الخطبة الرابعة

المسيحية في التطبيق

هذا الأصحاح الثالث مؤلف من ثلاثة أقسام متمايزة، سوف نتناولها الواحد تلو الآخر.

"أَخِيراً أَيُّهَا الإِخْوَةُ صَلُّوا لأَجْلِنَا، لِكَيْ تَجْرِيَ كَلِمَةُ الرَّبِّ وَتَتَمَجَّدَ، كَمَا عِنْدَكُمْ أَيْضاً، وَلِكَيْ نُنْقَذَ مِنَ النَّاسِ الأَرْدِيَاءِ الأَشْرَارِ. لأَنَّ الإِيمَانَ لَيْسَ لِلْجَمِيعِ. أَمِينٌ هُوَ الرَّبُّ الَّذِي سَيُثَبِّتُكُمْ وَيَحْفَظُكُمْ مِنَ الشِّرِّيرِ. وَنَثِقُ بِالرَّبِّ مِنْ جِهَتِكُمْ أَنَّكُمْ تَفْعَلُونَ مَا نُوصِيكُمْ بِهِ وَسَتَفْعَلُونَ أَيْضاً. وَالرَّبُّ يَهْدِي قُلُوبَكُمْ إِلَى مَحَبَّةِ اللهِ وَإِلَى صَبْرِ الْمَسِيحِ" (٢ تسالونيكي ٣: ١– ٥).

في هذه الآيات الخمس يحاول الرسول بولس أن يخاطب قلوب أولئك المسيحيين الجدد، وكل واحد منا، فيما يخص أشياء أريد أن أشرحها لكم ضمن خمسة مصطلحات.

الأولى هي "روح الصلاة": "أَخِيراً أَيُّهَا الإِخْوَةُ صَلُّوا لأَجْلِنَا، لِكَيْ تَجْرِيَ كَلِمَةُ الرَّبِّ وَتَتَمَجَّدَ، كَمَا عِنْدَكُمْ أَيْضاً". هذا يعني أن التسالونيكيين كان قد طُلب منهم أن يتذكروا ذاك الذي كتب هذه الرسالة، لقد كان أعظم كارز ومبشر ومعلّم للكلمة قد عرفته كنيسة الله على الإطلاق، ومع ذلك يشعر بالحاجة إلى صلوات أولئك المهتدين لكيما يقوم بخدمتهم على أكمل وجه ممكن. كم نصلي من أجل أولئك الذين هم مدعوون للكرازة بالكلمة للآخرين؟ عندما تكونون لوحدكم مع الله هل تتذكرون أن تصلوا لأجل الرعاة الذين يسعون للعناية بقطيع المسيح؟ هل تصلون من أجل المرسلين الذين ذهبوا إلى أماكن بعيدة من أجل الرب يسوع؟ هل تتذكرون أولئك الذين يعملون بجدٍ وكدٍ في الكنائس المحلية، والذين يعمل الكثيرون منهم في أماكن صعبة حيث لا يجدون ما يكفي من التشجيع والترحيب؟ إن الكثيرين من شعب الله لا يستطيعون أن يكرزوا؛ كثيرون لا يستطيعون أن يعلّموا، ولا أن يسافروا إلى الخارج لكي ينقلوا الكلمة إلى أراضٍ بعيدة. ولكن الجميع يمكن أن يصلّوا. يقول الناس لي أحياناً: "لا أعرف من أجل ماذا أصلي. إني أركع على ركبتيّ، وأفكّر بأن أُمضي بعض الوقت في الصلاة، ولكن ما هي إلا بضعُ دقائق حتى أجدُني قد قلتُ كلَّ ما لدي وكلَّ ما في قلبي، ولا يبدو لي أي شيء آخر يمكن أن أصلي من أجله". في مثل هكذا وقت لماذا لا تحضرون بهدوء أمام الله وتنتظرون، وتسألونه أن يُحضر إلى أذهانكم أولئك الذين يعملون بجهد على نشر الكلمة والعقيدة، وتستحضرونهم في ذهنكم، إذ يمكنكم أن تذكروهم كل على حدة أمام الله؟ صلّوا لأجل أن يساندهم الله ويؤازرهم ويحفظهم من الإحباط ووهن العزيمة. ليس من أحد بحاجة للصلاة أكثر من أولئك الذين يحملون عبء وحماوة وضغط النهار في المعركة الجليلة من أجل البر. لقد كرز بولس ورفقائه بالكلمة إلى هؤلاء التسالونيكيين، وقد دعاهم إلى أن يُصلّوا من أجل البركة في الوقت الذي انطلق فيه الشهود إلى كل مكان لكي يكرزوا. بهذه الطريقة يمكن للمؤمنين أن يتعاونوا مع أولئك الذين انخرطوا في الخدمة العلنية. ثم في ذلك اليوم من الاستعلان الذي سيأتي، وعندما يظهر الجميع أمام كرسي الدينونة للمسيح، ويجازي الرب كل واحد بحسب الخدمة الصادقة المخلصة التي قام بها،

فعندها سنرى أن الاهتمام والتقدير سيُعطى ليس فقط لأولئك الذين كرزوا بالكلمة، بل أيضاً لأولئك الذين يدعمون ويؤازرون خدّامه في الصلاة. قد لا تكون مؤهلاً للذهاب إلى حقل الإرسالية، ولكن قد تبقى في منزلك وتقدم من مواردك لمساعدة ودعم إرسالية في إفريقيا أو الصين أو أمريكا الجنوبية أو في جزر البحر، فإنك بذلك تكون مشاركاً بقسط كبير في هذه الأشياء. قد لا تقف في منبر الوعظ لتكرز بالكلمة، ولكن بصلواتك وتضرعاتك يمكنك أن تطلب من الله لأجل أولئك الذين يخدمونها. هذا أمر واقعي فعلي جداً. إني متأكد من ذلك: إن صلّينا أكثر من أجل رسل الله فإننا سنخفف من انتقادنا لهم. يجد البعض على الدوام أخطاءَ وعيوباً عند خدام المسيح. إنهم لا يفعلون الأمر الصواب من وجهة نظر هؤلاء المنتقِدين. فإن تحدَّثَ أحدهم كثيراً عن الخطيئة يقولون أنه صارم جداً؛ وإن قال أحدٌ أشياء كثيرة عن الراحة والعزاء التي في المسيح فيقولون أنه ليّن جداً؛ أما إن تحدّث بشكل خاص إلى غير المخلَّصين فإنه يُعتبر مهملاً للقديسين؛ وإن كرّس نفسه وعمله بشكل خاص للمسيحيين قالوا أنه ليس ملتزماً بالإنجيل. إنه لأمر في غاية السهولة أن نكون في مزاج انتقادي. ولكن عندما نطلب تشديد خدام الله في الصلاة فإن روح النقد والانتقاد تتنحّى لتحلّ محلّها روح المعونة المُحبّة.

الكلمة الثانية التي أرغب أن أركز عليها هي "الحفظ". فالرسول بولس ورفقائه كانوا معرضين لمخاطر شديدة. إنه يقول: "صَلُّوا لأَجْلِنَا، وَلِكَيْ نُنْقَذَ مِنَ النَّاسِ الأَرْدِيَاءِ الأَشْرَارِ. لأَنَّ الإِيمَانَ لَيْسَ لِلْجَمِيعِ". إنه لأمر محزن ألا يؤمن البعض أبداً، مهما كانت طريقة الكرازة بالإنجيل واضحة لطيفة حانية. هناك الكثير من الرجال الأردياء الأشرار والمفرطين غير المتعقلين الذين ليس لديهم إيمان، لأنهم أوصدوا قلوبهم وأذهانهم أمام كلمة الله. هناك أيضاً من يقول: "لقد سمعتُ رسالة الإنجيل مراراً وتكراراً، ولا أستطيع أن أؤمن بالكتاب المقدس؛ لا أستطيع أن أؤمن بالولادة العذرية للمسيح؛ لا أستطيع أن أؤمن بأن كان ابن الله؛ لا يمكنني أن أؤمن بقيامته بالجسد من بين الأموات؛ لا أستطيع أن أؤمن بصعوده إلى السماء، وأنه سيأتي ثانية. لا أستطيع أن أؤمن بكل هذا". أستطيع أن أُخبرك لماذا لا تستطيع أن تؤمن. ذلك لأنه ليس لديك رغبة بأن تتحرر من خطاياك. إنك تلوك الخطيئة كلقمة حلوة المذاق تحت لسانك، وطالما أن خطيئتك تعني لك (تهمك) أكثر من مكان في السماء، فإنك لن تكون قادراً على أن تؤمن. هكذا كان حال الناس الذين كان يشير إليهم الرسول بولس هنا، والذين يصفهم بأنهم أشرار أردياء. إن إنجيل الله معقول. فهو يقول: "هَلُمَّ نَتَحَاجَجْ يَقُولُ الرَّبُّ. إِنْ كَانَتْ خَطَايَاكُمْ كَالْقِرْمِزِ تَبْيَضُّ كَالثَّلْجِ. إِنْ كَانَتْ حَمْرَاءَ كَالدُّودِيِّ تَصِيرُ كَالصُّوفِ" (أشعياء ١: ١٨). إنه يريد أن يتحاجج مع الناس؛ إنه يريدهم أن يجلسوا ويواجهوا بإمعان فِكْرِ تلك الحقائق الأبدية الهامة التي تقدمها كلمته. إذ يكتب لأهل كورنثوس، (١ كو ١٠: ١٥)، قال الرسول بولس: "أَقُولُ كَمَا لِلْحُكَمَاءِ: احْكُمُوا أَنْتُمْ فِي مَا أَقُولُ". أي بمعنى "حكّموا العقل" فيما أقول، وفكّروا في الأمر. بعض الناس يأبون أن يفعلوا ذلك. إنهم مصممون على ألا يؤمنوا. إنهم لا يرغبون في أن يتحرروا من عاداتهم الشريرة. ولذلك فهم غير متعقلين ويرفضون الإنجيل. إن عدم التعقل هو بحد ذاته شرٌّ. يقول الله: "لِيَتْرُكِ الشِّرِّيرُ طَرِيقَهُ وَرَجُلُ الإِثْمِ أَفْكَارَهُ وَلْيَتُبْ إِلَى الرَّبِّ فَيَرْحَمَهُ وَإِلَى إِلَهِنَا لأَنَّهُ يُكْثِرُ الْغُفْرَانَ" (أشعياء ٥٥: ٧). إن كان الناس ليست لديهم رغبة بأن يعودوا عن

خطاياهم وأن يتحرروا من النجاسة والفحشاء التي يمارسونها فإنهم لن يُضطروا أبداً لفعل ذلك. إن الله يأمر جميع الناس أن يتوبوا؛ فإن رفضوا ذلك فستقع عليهم الدينونة ولا بد.

هؤلاء الناس المفرطين والأردياء ليس لديهم إيمان. هذه الكلمات أزعجت وأقلقت بعض النـــاس. لقد أساؤوا تفسيرها وجعلوها تعني بأن هناك أناس لا يُسرُّ اللهُ أن يعطيهم الإيمان، ولـــذلك فهـــم ليســـوا بقادرين على أن يؤمنوا. يقول الكتاب المقدس: "لأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالإِيمَانِ، وَذَلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللهِ" (أفسس ٢: ٨). هذه الكلمات تعلن بوضوح أن نفسَ الإيمان الذي به نخلُصُ هو عطية من الله. ولكن سيقول البعض إن كانت العطية لم تعطَ من الله فعندها لا يمكنهم أن يؤمنوا، ولـــذلك لا يمكنـــهم أن يتحملوا أية مسؤولية بسبب خسران أنفسهم. هذا التفسير خاطئ جداً. تقول الكلمة: "إِذاً الإِيمَانُ بِـــالْخَبَرِ وَالْخَبَرُ بِكَلِمَةِ اللهِ" (رومية ١٠: ١٧). إن الإيمانَ مؤسسٌ على السماع، وإن أبدى الناس اهتماماً وسمعـــوا صوت الله ورغبوا في أن يتحرروا (وينعتقوا) من خطاياهم، فعندها يتدفق الإيمان في نفوسهم ويتمكنون من أن يتمسكوا بالمسيح وأن يخلصوا. ولكن عندما يرفض الناس عن عمدٍ وبـــازدراء كلمـــة الله ويواصـــلون بإصرار على إثمهم، فإنهم يُحْصَوْنَ من بين أولئك الذين يكتب الرسول بولس عنهم قائلاً: "الإِيمَـــانَ لَـــيْسَ لِلْجَمِيعِ". ليس لديهم إيمان لأنهم لن يلقوا بالاً أو انتباهاً للرسالة.

الكلمة الثالثة التي أريد أن أركّز عليها هي "الحماية": "أَمِينٌ هُوَ الرَّبُّ الَّذِي سَيُثَبِّتُكُمْ وَيَحْفَظُكُـــمْ مِنَ الشِّرِّيرِ". هذا وعد رائع للمسيحيين الحديثي الإيمان– وللقدامى أيضاً– لكن بولس هنا يفكر بشـــكل خاص بأولئك المؤمنين الجدد في تسالونيكي. لقد كان يكن لهم محبة شديدة وكانوا أعزاء جداً على قلبـــه. لقد كان يعرف أنهم معرضون لكل أنواع الخطر؛ وكان يعرف أن الشيطان سيبذل كل ما يستطيع لكـــي يُنحّيهم عن بساطة إنجيل المسيح. كان بولس قد سألهم أن يُصَلّوا من أجله، كما أنه هو نفسه كان يصـــلي من أجلهم. لقد كانت له ثقة بصدق الله وأمانته: "أمينٌ هو الرب". إنه يعطي حياةً أبديةً لجميـــع أولئـــك الذين يؤمنون به، وقد وعد أن ما من أحدٍ سوف يقتلعهم من يده (يوحنا ١٠: ٢٧– ٢٩). ما من شـــيء سوف يفصلنا عن محبة المسيح. إن الحياة التي يتلقّاها المؤمن ليست شرطية وإنما أبدية، ولذلك لا يمكـــن أن تُفقَد أو أن يخسرها المؤمن. أولئك الذين يجادلون أو يحاججون يُظهرون أنهم لم يفهموا معنى الخلاص بالنعمة الصرفة. إنهم لا يزالون يفكرون بالاستحقاق أو الأهلية البشرية كشرط للخلاص الأبدي هـــذا هـــو أُسُّ جوهر لاهوت الكنيسة الكاثوليكية الرومانية؛ ولكن الكثير من البروتستانت لم يتحرروا منها أبداً.

إن المسيحي المتعلّم الدارس يستند، ليس على أمانة نزوانية من ذاته، بل على أمانـــة الله الـــذي عطاياه ودعواته لا رجعة عنها. إنه يمكن الوثوق به والتعويل عليه لتأسيسنا ولحفظنا من كل شر، إذ نحـــن نسعى لنسلك في طاعة مشيئته المعلنة. إن زلّتْ قدمنا في أي وقت من الأوقات من خلال الثقة بالـــذات أو نقص لجوئنا إلى الصلاة، كما بطرس في شرفة الكاهن الأعظم، فإنه يعرف تماماً كيـــف يســـتردّ نفوســـنا ويعيدنا لطريق الطاعة.

الكلمة الرابعة هي "المثابرة"، كما في الآية ٤: "وَنَثِقُ بِالرَّبِّ مِنْ جِهَتِكُمْ أَنَّكُمْ تَفْعَلُونَ مَا نُوصِيكُمْ بِهِ وَسَتَفْعَلُونَ أَيْضاً". لقد كان الرسول بولس يؤمن دائماً بالقديسين. لقد كانوا يؤمنون بالمسيح، وهو كان يؤمن بهم. إن آمنوا بالمسيح، فإن بطرس كان يعرف بأنهم سيخلصون، وكان يعوّل على رؤيتهم يصلون إلى القمة. إنه لأمر سيء أن يقع المرء في عادة تقليل اعتبار وسوء فهم شعب الله. أعلم أن الكثير من أبناء الله الأعزاء يصبحون متحمسين لأشياء معينة لوهلة، ثم لا يلبثون أن ينجرفوا بعيداً عن حبهم الأول، واهتمامهم الشديد يبدو وكأنه يتبدد. ولكن الحقيقة نفسها في أن روح الله يسكن فيهم هو سبب وجيه يدعوهم للثقة بأنهم سيشفون ويستردون ويأتون أخيراً إلى طريق الإذعان لإرادة الرب.

الكلمة الأخيرة هي "الصبر". وكم نحن في حاجة إلى الصبر! يقول الرسول: "وَالرَّبُّ يَهْدِي قُلُوبَكُمْ إِلَى مَحَبَّةِ اللهِ وَإِلَى الانتظارِ الْمُتأنّي لِلْمَسِيحِ". ولعله يمكن ترجمتها على نحو أفضل: "الرَّبُّ يَهْدِي قُلُوبَكُمْ إِلَى مَحَبَّةِ اللهِ وَإِلَى صَبْرِ الْمَسِيحِ". وتذكرون أن يعقوب قال (٥: ٧): "فَتَأَنَّوْا أَيُّهَا الإِخْوَةُ إِلَى مَجِيءِ الرَّبِّ. هُوَذَا الْفَلاَّحُ يَنْتَظِرُ ثَمَرَ الأَرْضِ الثَّمِينَ مُتَأَنِّياً عَلَيْهِ حَتَّى يَنَالَ الْمَطَرَ الْمُبَكِّرَ وَالْمُتَأَخِّرَ". ها هو المزارع (الفلاح) يجلس إلى يمين الله في السماء وهو ينتظر الثمر الثمين للأرض. ما معنى هذا؟ إنه ينتظر إلى أن تخلُصَ آخرُ نَفْسٍ لكيما يكتمل جسدُ المسيح. وعندها رجل الصبر والأناة، الذي كان يجلس إلى يمين العزة الإلهية خلال كل هذه القرون، بمقياسنا الزمني على الأرض، سينهض عن العرش و"الرَّبّ نَفْسَهُ بِهُتَافٍ، بِصَوْتِ رَئِيسِ مَلاَئِكَةٍ، وَبُوقِ اللهِ سَوْفَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَالأَمْوَاتُ فِي الْمَسِيحِ سَيَقُومُونَ أَوَّلاً. ثُمَّ نَحْنُ الأَحْيَاءَ الْبَاقِينَ سَنُخْطَفُ جَمِيعاً مَعَهُمْ فِي السُّحُبِ لِمُلاَقَاةِ الرَّبِّ فِي الْهَوَاءِ، وَهَكَذَا نَكُونُ كُلَّ حِينٍ مَعَ الرَّبِّ". إننا نحتاج إلى الصبر خلال انتظارنا له. هذا الصبر يعتمد على إدراكنا لمحبة أبينا السماوي التي لا تبدل فيها "الرَّبُّ يَهْدِي قُلُوبَكُمْ إِلَى مَحَبَّةِ اللهِ". ما الذي يعنيه بذلك؟ في يهوذا ١: ٢١ نقرأ: "احْفَظُوا أَنْفُسَكُمْ فِي مَحَبَّةِ اللهِ". أنى لي أن أحفظ نفسي في مَحَبَّةِ اللهِ؟ هل أنا مسؤول عن أن أحافظ على مَحَبَّةِ اللهِ لي؟ إنه يقول: "احْفَظُوا أَنْفُسَكُمْ فِي مَحَبَّةِ اللهِ". هل يقصد بذلك أن عليّ أن أحافظ على محبتي لله؟ لا. "فإننا نحبه لأنه هو أحبّنا أولاً". ولكن عليّ أن أحافظ دائماً على إدراكي لمحبته، وعلى التمتع الدائم المطرد بذلك. لطالما أوضحتُ هذه الفكرة على النحو التالي: إذا افترضنا أن ابنيَ الطفل كان مريضاً، وأثناء جو مظلم وكثير الضباب وجب أن يبقى في البيت. ثم في أحد الأيام تشرق الشمس على نحو ساطع ويقول الطبيب: "يمكنه أن يخرج اليوم لبعض ساعات، ولكن كن متأكداً من أن يبقى في أشعة الشمس". فأقول لابني: "يا بني، يمكنك أن تخرج وتستمتع بالجو، ولكن الطبيب قال أن تبقى في أشعة الشمس". فيسألني الولد: "كيف لي أن أُبقي الشمس مشرقة؟" فأوضح له: "لم أقل لك أن تُبقي الشمس مشرقة؛ إنما أقول لك أن تبقى أنت في أشعة الشمس". هذه الصورة على ما أعتقد توضح المقصود بالجملة هنا– احْفَظُوا أَنْفُسَكُمْ فِي مَحَبَّةِ اللهِ. "الرَّبُّ يَهْدِي قُلُوبَكُمْ إِلَى مَحَبَّةِ اللهِ". إذ نتمتع بمحبته ونتعود أن نعول عليها، يمكننا أن ننتظر في صبر ذلك اليوم عندما ستنتهي كل محننا وعندما سيأتي الرب يسوع ليأخذنا لنكون معه إلى الأبد.

في القسم التالي من رسالتنا، الآيات ٦-١٥، لدينا تحذير ضد الكسل والتبطل والافتراضات. "ثُمَّ نُوصِيكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ، بِاسْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَنْ تَتَجَنَّبُوا كُلَّ أَخٍ يَسْلُكُ بِلاَ تَرْتِيبٍ، وَلَيْسَ حَسَبَ التَّعْلِيمِ الَّذِي أَخَذَهُ مِنَّا. إِذْ أَنْتُمْ تَعْرِفُونَ كَيْفَ يَجِبُ أَنْ يُتَمَثَّلَ بِنَا، لأَنَّنَا لَمْ نَسْلُكْ بِلاَ تَرْتِيبٍ بَيْنَكُمْ، وَلاَ أَكَلْنَا خُبْزاً مَجَّاناً مِنْ أَحَدٍ، بَلْ كُنَّا نَشْتَغِلُ بِتَعَبٍ وَكَدٍّ لَيْلاً وَنَهَاراً، لِكَيْ لاَ نُثَقِّلَ عَلَى أَحَدٍ مِنْكُمْ. لَيْسَ أَنْ لاَ سُلْطَانَ لَنَا، بَلْ لِكَيْ نُعْطِيَكُمْ أَنْفُسَنَا قُدْوَةً حَتَّى تَتَمَثَّلُوا بِنَا. فَإِنَّنَا أَيْضاً حِينَ كُنَّا عِنْدَكُمْ أَوْصَيْنَاكُمْ بِهَذَا: أَنَّهُ إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُرِيدُ أَنْ يَشْتَغِلَ فَلاَ يَأْكُلْ أَيْضاً. لأَنَّنَا نَسْمَعُ أَنَّ قَوْماً يَسْلُكُونَ بَيْنَكُمْ بِلاَ تَرْتِيبٍ، لاَ يَشْتَغِلُونَ شَيْئاً بَلْ هُمْ فُضُولِيُّونَ. فَمِثْلُ هَؤُلاَءِ نُوصِيهِمْ وَنَعِظُهُمْ بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ أَنْ يَشْتَغِلُوا بِهُدُوءٍ، وَيَأْكُلُوا خُبْزَ أَنْفُسِهِمْ. أَمَّا أَنْتُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ فَلاَ تَفْشَلُوا فِي عَمَلِ الْخَيْرِ. وَإِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُطِيعُ كَلاَمَنَا بِالرِّسَالَةِ، فَسِمُوا هَذَا وَلاَ تُخَالِطُوهُ لِكَيْ يَخْجَلَ، وَلَكِنْ لاَ تَحْسِبُوهُ كَعَدُوٍّ، بَلْ أَنْذِرُوهُ كَأَخٍ" (الآيات ٦-١٥).

من الواضح أن الحقيقة الثمينة المتعلقة بالمجيء الثاني لربنا قد استحوذت على قلوب أولئك التسالونيكيين لدرجة أنهم كانوا يتوقعون بشكل كامل من الرب أن يعود خلال فترة حياتهم على الأرض. وأجمعُ من هذا المقطع ومن الآيات المماثلة في الرسالة الأولى بعض الأفكار والحقائق فأجد أن بعضاً من أعضاء تلك الكنيسة في تسالونيكي ما كانوا يقومون بأي عمل جاد أو صعب على نحو خاص، وهؤلاء كانوا يقولون: "حسناً، إن كان الرب سيأتي سريعاً فما نفع عملنا؟ لماذا لا نهوّن على أنفسنا؟ هناك آخرون من إخوتنا لديهم ما يكفي ليعيلهم من أجل المستقبل؛ فليقاسمونا ما لديهم. وبالتالي ليس هناك من داعٍ أو ضرورة لعملنا". يوبّخهم الرسول بولس على هذا الأمر، ويقول: "إن الله رتّبَ أنه أَنَّهُ إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُرِيدُ أَنْ يَشْتَغِلَ فَلاَ يَأْكُلْ أَيْضاً". إن العمل يمكن أن يكون بشكل أو بآخر؛ قد يكون عملاً فكرياً أو جسدياً. ولكن الجميع في هذا العالم يُتوقَّعُ منهم أن يعملوا عملاً ما من نوع ما. لقد قال الله لآدم: "بعرق جبينك تأكل خبزك". كان يمكن لله أن يعيلنا دونما حاجة لأن نعمل، ولكن لعل هذا لم يكن في صالحنا. إننا نستمد المعونة الفكرية والجسدية من استخدامنا لعضلاتنا وذهننا اللذين أعطانا الله إياهما. يقول البروفسور هنري فان ديك أبياتاً تأتي هنا في محلها بكل معنى الكلمة:

"بركة السماء راحة وطمأنينة كاملة،

ولكن بركة الأرض عمل وجهد".

هؤلاء الناس (الرجال) الذين يُشير إليهم بولس كانوا يتجاهلون المخطط الإلهي ببساطة، لأن العمل الصادق له مكانة بارزة مرموقة في المسيحية. كل حرفي مسيحي محترف يعرف أنه يُرجى منه أن يبذل قصارى جهده مقابل التعويض الذي يتلقاه. إن الله هو من رتب أن يعيل الناس أنفسهم بعملهم. عندما لا يوظف الناس إمكانياتهم بشكل صحيح هناك خطر أن يُشْغِلُوا أنفسَهم بمسائلَ عليهم ألا يتدخلوا فيها. ولذلك يصبحون مزعجين ويستخدمهم الشيطان لإقلاق راحة الكنيسة، أو أولئك الذين يبحثون عن دعمهم. إن اللسان لا يأثم على نحو خطير عندما تكون الأيدي منشغلة (مشغولة بالعمل).

يضيف الرسول بولس قائلاً: "إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُطِيعُ كَلاَمَنَا بِالرِّسَالَةِ، فَسِمُوا هَذَا وَلاَ تُخَالِطُوهُ لِكَيْ يَخْجَلَ، وَلَكِنْ لاَ تَحْسِبُوهُ كَعَدُوٍّ، بَلْ أَنْذِرُوهُ كَأَخٍ". بمعنى أن هكذا شخص لا يمكن أن يُعامَلَ بجفاء وقسوة، بل إن الأصح هو ندعه يرى أن تصرفه لا يَلْقَ استحسانَ إخوته.

المقطع الأخير المؤلف من الآيات الثلاث الأخيرة نجد فيه منح البركة والتحية الختامية.

"وَرَبُّ السَّلاَمِ نَفْسُهُ يُعْطِيكُمُ السَّلاَمَ دَائِماً مِنْ كُلِّ وَجْهٍ. الرَّبُّ مَعَ جَمِيعِكُمْ. اَلسَّلاَمُ بِيَدِي أَنَا بُولُسَ، الَّذِي هُوَ عَلاَمَةٌ فِي كُلِّ رِسَالَةٍ. هَكَذَا أَنَا أَكْتُبُ. نِعْمَةُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَعَ جَمِيعِكُمْ. آمِينَ" (الآيات ١٦– ١٨).

كل رسالةٍ أصيلة موثوقة لبولس تُختم بمقطع مشابه يتناول موضوع النعمة. مخلَّصين بالنعمة ومحفوظين بالنعمة، بها يختم رسائله سائلاً النعمة للآخرين.